

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ووجوده في صناعة

التغيير الحضاري - دراسة وصفية تحليلية -

د/أحمد عيساوي

جامعة الحاج لخضر باتنة

* بيئته وظروف عصره :

يمكن وصف الفترة التي ولد ونشأ وعاش وأصلح ودعا فيها إلى الله.. الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي بأنها من أظلم الفترات التي مرت بالجزائر العربية المسلمة طيلة وجودها في تاريخ الحضارة الإنسانية، وبعد أن أيقنت فرنسا أن الجزائر قد آلت إليها وإلى الأبد، وأنه لن تقوم لها قائمة بعد القرن العشرين في سماء العروبة والإسلام. فقد مضى على آخر ثورة شعبية مسلحة في الجزائر حوالي ربع قرن¹. وكان قد انتهى عهد الثورات المسلحة، والانتفاضات الكبرى - عدا انتفاضة الشيخ بوعمامة وأولاد سيدي

1 لمزيد من الاطلاع على ثورات الجزائر التحريرية انظر: محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ، ص 21 و22، بتصرف. عبد الكريم أبو الصمصاف [دكتور]، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931-1956م، مطبعة متحف الجهاد، الجزائر، الطبعة الأولى، 1992م، ص 12.. جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، دون طبعة، 1994م، ص 127، وص 134.. أوحد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، 1986م، ص 67 وص 68. وبجي

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
الشيخ - وابتدأ عهد جديد، جيله يخالف جيل الثورات والانتفاضات العنيد، الذي تميز
بشراسة رجاله ومقاومتهم البطولية.

وابتدأ عهد جديد، تمثل في ظهور جيل جديد من العلماء والمتقنين والسياسيين يرى
في مهادنة الاستعمار أسلوبا تكتيكيا حديثا، ونمطا للحفاظ على الرمز الأخير من حصون
العربية والإسلام المتبقية في الجزائر.

هذا الجيل يتميز عن الأجيال اللاحقة له بكونه يحمل نفس تصورات وقيم ومبادئ
وأصالة.. الجيل الجهادي السالف، ولكنه يختلف عنهم في كثير من المقومات، ومن هذا
الجيل - الذي ولد أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الرابع عشر الهجري -
كان الإمام الشيخ [العربي بن بلقاسم التبسي] .

ولعل إلقاءنا بعض الأضواء على أوضاع الجزائر السياسية والاجتماعية والثقافية..
ينير لنا الواقع الذي تحكّم ووجه نشأة وحياة وتكوين الشيخ [العربي بن بلقاسم التبسي] .
فقد ولد الشيخ وعاش طفولته ونشأ وتعلم في مرحلة ذروة الانتفاضات الثورية المسلحة
(1862-1886م)، وبعد أن مرت الجزائر بمرحلة المقاومة المسلحة (1830-
1872م)، كما عاش ودعا إلى الله وخدم دينه في مرحلة النضال السياسي السلمي
الممتدة بين سنوات (1919-1957م)¹.

بوعزيز. الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، 1987م،
ص 17 وص 18، بتصرف. وأبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م، الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى، 1970م، ج 3. ص 71.
1 كانت آخر وأعنف ثورة شعبية دينية في الجزائر ثورة الشيخ محمد المقراني، ومحمد الحداد سنة 1871-
1872م، ثم ثورة أولاد سيدي الشيخ المعروفة بثورة بوعمامة سنة 1884 1886م. لمزيد من التوسع انظر: عبد

- الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
- وعليه فإن المحلل لمراحل الكفاح التي مر بها الشعب الجزائري ضد الهيمنة الفرنسية عامة، والتي ولد وعاش فيها أمثال الشيخ العربي التبسي خاصة يلاحظ ما يلي :
- 1 - مقاومة الشعب الجزائري الشرسة للوجود الاستعماري الفرنسي.
 - 2 - طول مدة المقاومة المسلحة (1830-1917-1954-1962) وتفضيل الشعب الجزائري لأسلوب المقاومة والمغالبة على المطالبة بالطرق السياسية، وقصر مدة النضال السياسي (1919-1954).
 - 3 - إلغاء وإنهاء الجزائريين الوجود الفرنسي في الجزائر بنفس الوسيلة والأسلوب الذي ألغى به الوجود الحضاري الجزائري العثماني العربي الإسلامي.
 - 4 - استمرار السياسة القمعية الاستعمارية تجاه الشعب الجزائري عبر سني الاحتلال، حتى في فترات ما يسمى بسياسة الإدماج.
 - 5 - تنوع أسلوب الشعب الجزائري في تحقيق الوجود الحضاري، ومروره بالخطوات التغييرية التالية: (المقاومة 1830 - 1917م. المطالبة 1919 - 1954م. المغالبة 1954 - 1962م).
 - 6 - نجاعة أسلوب المغالبة المسلحة المنظمة في عملية التغيير مع القوى الاستعمارية الباغية دون غيره من الأساليب الودية والحبية السياسية والفكرية والثقافية وغيرها..
 - 7 - صعوبة الحفاظ على القيم الحضارية وعلى خصوصيات الهوية العربية والإسلامية، واستمرارها قوية ومتواصلة في الأجيال.

الكريم أبو الصفصاف [دكتور]، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931-1956م، مطبعة متحف الجهاد، الجزائر، الطبعة الأولى، 1992م، ص 12..

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
8 - حجم التحديات التي كان يُواجه بها علماء الدين الإسلامي في الجزائر من
قبل قادة الاحتلال.

وفي مرحلتين حاسمتين (1888-1957م) من هاته المراحل قضت إرادة المولى
تبارك وتعالى أن يولد ويعيش ويدعو إلى الله تعالى وإلى دينه شيخنا [العربي بن بلقاسم
التبسي] .

* أوضاع الجزائر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية:

والمتبوع لأوضاع الجزائر وصيرورتها الحضارية في ظل الهيمنة الاستعمارية الفرنسية
يتبين أن أمرها قد آلُ بعيد فترة المقاومات إلى الحالة المزرية المتمثلة في الحقائق التالية:

1 - تشديد الخناق الاستعماري على المواطنين الجزائريين وبخاصة سكان الأرياف،
وذلك بتجريدهم من أراضيهم الخصبة، وإتقال كواهلهم بالضرائب والغرامات، وتعجيزهم
اقتصاديًا بوسائل مختلفة حتى يضعفوا عن تنظيم أية مقاومة مسلحة أخرى.

2 - ضرب تقاليد نظام العروشية، المتميز بالوحدة والتضامن القبلي بواسطة تراب
العرش الجماعية، الذي كان يشكل أحد عوامل الوحدة القبلية. وبالتالي فقد ألغوا وسيلة
الوحدة القبلية، وذلك بإلغائهم ملكية وأصالة أرض العرش وإباحة تجزئتها بالبيع والرهن
والمصادرة لصالح المعمرين والدولة، محققين بذلك عدة أهداف استعمارية، تزيد في استدلال
وإهانة الشعب الجزائري.

3 - تجويع الشعب الجزائري وإفناؤه بالقمع والإرهاب والتقتيل والمجاعات، فبعد
مجاعة 1868م أصبح عدد الجزائريين حوالي مليونين فقط بعد أن كان ثلاثة ملايين قبلها.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي

4 - تقوية نفوذ وسلطة وعدد المعمرين الأوربيين، فقبل المجاعة الكبرى كان عدد المعمرين حوالي 220 ألفا، ليرتفع بعدها إلى 279 ألفا، بالرغم من تراجع نسبة الهجرة نحو الجزائر.

5 - القضاء على آخر ما تبقى من حصون الإسلام والعربية، وذلك بضرب التعليم الإسلامي المسجدي وتوابعه، وفرض سياسة التعليم الفرنسية الاستعمارية التي تسعى لإيجاد فرد جزائري يتماشى مع مخططاتها الاستعمارية المستقبلية، وهذا ما حصل بالفعل عندما سخر الجزائريون لغزو سوريا ولبنان والمشاركة في الحربين العالميتين.

6 - ضرب الشريعة الإسلامية - كإطار مرجعي - وتدمير المسلمين تشريعيًا وقانونيًا وإداريًا وقضائياً.. وذلك بإلغاء الشريعة الإسلامية كمرجعية للحكم، واستبدالها بالقانون الوضعي الفرنسي.

7 - فرض سياسة التجنيد الإجباري العسكري على المواطنين الجزائريين بوصفهم مواطنين فرنسيين، وذلك بغرض إفناء في الحروب من جهة، والحفاظ على العنصر الفرنسي قويا وصحيحا وكثيرا، وضرب المسلمين الجزائريين ببعضهم وبغيرهم وتعميم الأحقاد فيما بينهم.

8 - إعادة تربية وصياغة وتكوين الجزائريين الملتحقين بالجيش الفرنسي فكريا وروحيا وسلوكيا ونفسيا وأخلاقيا بما يتناسب والسياسة الاستعمارية.

9 - تتويج هذه السيطرة الاستعمارية الباغية بإصدار قوانين (الأنديجينا) الردعية، التي أنشئت أساسا لقمع وإرهاب الشعب الجزائري وذلك بمقتضى مراسيم 19/أوت/1874م و11/ سبتمبر/1874م، الذي جرى توسيعه وتمديده ليشمل (الأحواز المختلطة) أيضا عام 1881م.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
وبقوانين الأندجينا القمعية الزجرية يكون الاستكبار الفرنسي في الجزائر قد أرسى له
ولروحه الاستكبارية آخر دعائم التمكين والسيطرة على الشعب الجزائري المقهور، وفي ظل
هذه الأوضاع القهرية الزجرية القاتلة ولد وعاش ودعا وأصلح شيخنا العربي بن بلقاسم
التبسي¹.

* المتكلم والمفكر العقدي:

لعلم الكلام تعريفات عديدة تنتظم كلها في معنى واحد، فقد عرفه ابن خلدون بأنه
علم يتضمن سبل الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين
في الاعتقاد عن مذاهب أهل السلف وعقائد أهل السنة². فيما عرفه أحمد أمين تعريفا
مشابها للأقدمين بقوله: ((.. سمي هذا العلم الذي يبحث في العقائد بالأدلة العقلية، والرد
على المخالفين بعلم الكلام، وسمي المشتغلون به بالمتكلمين. وقد اختلفوا في سبب هذه
التسمية؟ فقال بعضهم: إنه سمي علم الكلام، لأن أهم مسألة وقع فيها الخلاف في
العصور الأولى مسألة كلام الله وخلق القرآن، فسمي العلم كله بأهم مسألة فيه، أو لأن
مبناه كلام صرف في المناظرات على العقائد، وليس يرجع إلى عمل. أو لأنهم تكلموا حيث
كان السلف يسكت عما تكلموا فيه. أو لأنه في طرق استدلاله على أصول الدين أشبه
بالمنطق في تبينه مسالك الحججة في الفلسفة. فسمي علم الكلام مقابلة لعلم المنطق...
))³.

1 لمزيد من الاطلاع انظر: محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م، منشورات المتحف
الوطني للمجاهد، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ، ص 21 و22، بتصرف.
2 محمد علي أبوريان. تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. دار النهضة العربية. بيروت. الطبعة الأولى. 1976م
ص 131. وقد عرفه الفارابي، والعضد الإيجي، والتفتزاني وغيرهم وتعريفاتهم له متشابهة في الذود عن العقائد.
3 أحمد أمين. ضحى الإسلام. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة العاشرة. دون تاريخ. ج 3. ص 9.. 15.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
ويرى أحمد أمين أيضا أن منهج المتكلمين يختلف في الاستدلال على العقائد،
وأصول الدين عن منهج القرآن. الذي يعتمد أساسا على مخاطبة العواطف، والفطرة الإيمانية
التي فطر الإنسان عليها. فالقرآن لا يؤلف برهانه تأليف المنطقي من مقدمة صغرى وكبرى
ونتيجة. ولا يتعرض لألفاظ الفلسفة من جوهر وعرض ونحوهما. ولا يجددهما ولا يثير
المشاكل العقلية ويفصلها ويبني عليها، لأن الدين لم يأت للفلاسفة وحدهم، ولا للعلماء
وحدهم. فالفلسفة والعلم حظ أقل عدد من الناس¹
أما طريقة المتكلمين، فهي الاستدلال على الإيمان بالأدلة العقلية المنطقية، والتعامل
مع القرآن ضمن دائرة العقل والنظر.

وعلى ضوء هذا التعريف يمكننا أن نحدد ماهية علم الكلام، وماهية المتكلم. فعلم
الكلام هو العلم الذي يستدل به على العقائد، وأصول الدين بأدلة الحجاج العقلي
الفلسفي. والمتكلم هو الذي يضطلع بمهمة البحث في مسائل العقائد، وأصول الدين
مستخدما العقل، والنظر، والمنطق الفلسفي.

ولنا أن نتساءل - بحكم المساءلة العلمية - هل يعد الشيخ العربي متكلمًا؟ وهل
يمكن وضعه في زمرة المتكلمين؟ وهل ما كتبه، وأنتجه، وما حوته مقالاته، وأبحاثه من
قضايا كلامية مختلفة.. يمكنها أن تدخله في زمرة المتكلمين؟ أو حتى المنتهجين لمسلك
المتكلمين؟

وللإجابة على هذه التساؤلات لا بد لنا من تتبع نماذج من آثار الشيخ العربي
بالعرض، والتحليل، والمناقشة، وهو ما سنبنه.
* أسلوب المتكلمين:

1 يعرض الأستاذ أحمد أمين لهذا الموضوع بإسهاب في ضحى الإسلام ج 3. وظهر الإسلام. ج 1. 2.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
المطلع على كتابات الشيخ العربي، ولاسيما التي ناظر فيها أصحاب الطرق في
الجزائر. يلحظ من خلالها - بجلاء - بروز أسلوب المناطقة، والمتكلمين فيها¹.
ومن ذلك ما ذهب إليه في معرض تنبيهه إلى مقومات النهوض بالمجتمع، ووسائل،
وغايات إعدادة: ((... ومعلوم لنا في أول ما ركز الله في عقولنا، أن جلت قدرته ربط
حلقات هذا العالم ربطا محكما، وجعل لكل شيء علة تتقدمه، وترتبط به ارتباطا وثيقا،
وجعل المسببات تنشأ عن أسبابها عند ملابسة المكلف للأسباب، وتنعدم عند انعدام
أسبابها.

ذلك خلق الله عند حضور الأسباب الموضوعية للسببية، وسننه التي عرفها عباده.
وعلمهم سببيتها، وكيفية التسبب، وأراهم أنهم على قدر إحسانهم للتسبب، وعلمهم
بالأسباب، وبراعتهم في التذرع، والتماس الذرائع المنهية إلى المسببات، يكون فوزهم
بالمقاصد، سواء في ذلك التسبب الديني في الشرائع، أو التسبب الدنيوي في الحياة
ومرافقتها.

وإذ أفهمنا رينا هذه الأسباب التي تعد سنته في خلقه، ورحمته التي قام عليها عمران
هذا العالم الأرضي. ويات عملنا بهذا التنظيم الإلهي علما، وعملا ضروريا عاما في كل
عصر ومصر وأمة، لا يشذ عنها أحد إلا في أحوال إستثنائية، ولا يختلف فيها سبب عن
سبب عرفت سببته، ولا تخرج عن مسبب من المسببات. فقد وجب على القائمين

1 بدعة الطرائق في الإسلام. جريدة الشهاب. السنة 4. عدد 168. 05/جمادى 1347/1 هـ الموافق
1928/10/18 م. وما هو الإخلاص ومن هو المخلص؟. مجلة الشهاب. ج 4. م 9. 15/ذوالقعدة/1351
هـ. الموافق 1933/03/12 م. وإن كنت حاملا فلدي غلاما. جريدة الشهاب. السنة 4. عدد 177.
09/رجب/1347 هـ الموافق 1928/12/20 م.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
بالإصلاح في هذه الأمة الجزائرية، أن يدخلوا هذه السنة عملا، لا اعتقادا فقط. وأن
يتخذوا من الذرائع، والأسباب المباشرة ما يفضي إلى المقاصد، التي نصبوا أنفسهم
لتحصيلها، وقصدوا لخدمة الأمة من جهتها، وأن يلتمسوا من الأسباب ما تحققت سببته،
سواء في ذلك ما عرف قبل، وما وجد في هذه الآونة...))¹.

والمحلل لهذا النص يلحظ استخدام الشيخ العربي لألفاظ، ومصطلحات المناطقة
والمتكلمين. كما يلحظ أيضا إتباعه لأسلوبهم: في العرض، والبسط، والتحليل، والبرهنة،
والاستنتاج، والإقناع. وكذلك استخدامه لأسلوبهم في الحجج، والجدال. وقد فاض النص
بالمسائل الكلامية التالية:

1 - الانطلاق من الإيمان الفطري المخبوء في كل نفس إنسانية، ثم البرهنة عليه
بطريقة المتكلمين.

2 - قدرة الله الواسعة والخالقة، وإحكامه الدقيق.

3 - بديع صنع الله، وتناسق وانسجام خلقه.

4 - قانون - دليل - النظام والانسجام.

5 - قانون - دليل - الإبداع والخلق والابتكار.

6 - قانون - دليل - السببية وعلاقة الأسباب بمسبباتها.

7 - علم الله الواسع المفعول والمؤثر. وعلم البشر المنفعل والمتأثر.

8 - دفع المجادلين والمناظرين بالأدلة العقلية إلى الاقتناع بالمقصود.

1 إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع. مجلة الشهاب. ج 5. م 7. جمادى 1352/1 هـ. ماي 1932 م. ص
.188

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
والحق أن الشيخ العربي في هذا المقال لم يبدو كعالم من علماء الدين والفقهاء
النصبيين، بمقدار ما بدا عالما متكلمًا، منطقيًا يستخدم أسلوبًا، ومصطلحات المتكلمين
شكلاً، ومنهجًا، ومضمونًا. ولا غرابة في ذلك، وهو الذي أخذ علم المنطق، والكلام من
مصادره الأصيلة.

كما بدا الشيخ العربي في غير المقال السابق الذكر متكلمًا، ومنطقيًا في العرض
والتحليل وهو يرد على (الناصر معروف) وكتاب جريدة البلاغ الجزائري، حيث قال:
(.. وفي أقلام أصحاب جريدة البلاغ عبرة عظيمة، تلك العبرة هي أن قوانين العلم من
عهد (أرسطو طاليس)¹ و(أفلاطون)² تبيين أن الدعوى المتنازع فيها لا تثبت إلا بأمرين
هما: 1 - إبطال دليل الخصم. 2 - سلامة دليل المبطل من القوم.

هكذا قال العلم قبل ظهور (الناصر معروف) وأمثاله. أما الآن فقد تجددت
مناهج العلم كما تجددت أساليب التصوف، وصار (الناصر معروف) لا يبطل أدلة
خصومه، ولا يقيم دليلًا على دعواه. ومع هذه المهزلة يزعم أنه يرد علي، ولعلك أيها
القارئ العالم بدلالة الألفاظ فهمت سر قولي آنفا أن (الناصر معروف) يريد مريدين
أميين))³.

والدارس المحلل لهذا النص يتبين فيه ما يلي:

1 أرسطو طاليس: (322-384) ق م فيلسوف يوناني رائد يعد واضع علم الميتافيزيقا وعلم المنطق، وهو ذو
نزعة تجريبية عقلانية. من أهم آثاره: الطبيعة. ما بعد الطبيعة. الأخلاق. السياسة. الزركلي. ج1. ص 219.
2 أفلاطون: (347-429) ق م فيلسوف يوناني تتلمذ على يد سقراط، وجعله سقراط مديرا لمخاوراته. مجريا
على لسانه كثيرا من النظريات التي لم تخطر ببال أستاذه. يرى أن معطيات الحواس مجرد ظواهر. والحقائق إنما تتمثل
في الصور والمثل التي لا تتغير. أهم آثاره: المحاورات. جمهورية أفلاطون. الزركلي. ج2. ص 323.
3 إن كنت حاملا فلدي غلاما. جريدة الشهاب. عدد 178. ص 10. الآثار. ص 15.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي

1 - الإشارة إلى العلم، وقوانينه المطردة.

2 - ذكر الفيلسوفين اليونانيين الشهيرين أرسطوطاليس، وأفلاطون. مؤلفي علم

المنطق. والباحثين في الفلسفة، وماوراء الطبيعة واللاهوت....

3 - تناول منهجية العرض بالأطروحة، وإبطالها بنقيضها.

4 - دور الدليل في البرهنة، ونقد حجة الخصوم، وإبطالها.

كما يبدو الشيخ العربي متشددا مع خصومه، وخاصة في نقضه، ونقده لطروحاتهم السطحية، وذلك بعد عرضها على حقائق العلم. يفعل ذلك فعل الفيلسوف المنطقي، الذي يعرض جميع الحقائق والأباطيل على العقل، الذي سماه الشيخ العربي في مقاله بـ (كير العلم)، من ذلك قوله: ((.. وأنا أتحداه، وأتحدى كل طرفي في الجزائر أن يدلني على طريقة تذكر الأذكار الواردة، وترشد إليها من غير تغيير ولا تبديل. ولقد كنت يا (ناصر معروف) في كتابتك على حد المثل العربي: (أربي غيا أزدد فيه). أبهذه الجملة المختلة التي ظاهرها رحمة، وباطنها عذاب، تريد أن تستدل على اختراع تحديد الأوقات، والأذكار الطرية المزوقة في الأنظار؟ وهي كما يراها الرائي لا تجتمع مع كلامي والدعوى المتنازع فيها في عقل أحد غير كاتبنا، ومن شاركه في الهوى.

وها أنا أرددها على جميع المحامل التي يصح أن تحمل عليها، وإن كانت بعيدة، ثم أعرضها على كير العلم لينفي خبثها، ويظهر زيفها، وتلبس صاحبها على قراء صحيفته...))¹.

ويتبع نماذج أخرى من كتابات الشيخ العربي، التي تبدو فيها شخصيته العلمية، كمتكلم، ومنطقي، في الحجاج، والجدال، والمناظرة، والكتابة، وإبطال أدلة الخصم. نتبين -

1 إن كنت حاملا فلدي غلاما. ص 16. الآثار. ص 13.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
بوضوح - مدى تمكن الشيخ العربي من علمي الكلام ومسائله، وعلم المنطق وقضاياها.
وقسم الآثار مليء بهذه النماذج.

* الحجاج العقلي مع الطرفين:

خاض الشيخ العربي معركة حادة ضد غلاة الطرفين، الذين ملؤوا الجزائر، وسيطروا
على الفرد الجزائري، وسخروه لخدمة الاستعمار. واستعمل - رحمه الله - في معركته ضدهم
سلاح الحجاج العقلي، والجدال الكلامي، على نمط ما كان يفعله متكلمو العصور
الإسلامية المتقدمة لإفحام خصومهم.

ومن ذلك رده على (ابن عليوة)، مبطلا مزاعمه في التصوف، وفهمه لتصوف
السلف، ودعواه التصوفية اليوم، حيث يقول: ((.. زعم الشيخ (ابن عليوة) أن النسب،
والإضافات لا تحصل إلا بأن ينزل المنسوب من المنسوب إليه في كل شمائله، وصفاته،
وخواصه الكسبية والنفسية. فإن جاءت الإضافة على بعض الخصائص أو العقائد، أو
الآراء كانت باطلة، تستحق النكير، والتشنيع. لأنها تفتح باب إسقاط هيبة وعظمة
المنسوب إليه، وتعرضه لسوء القالة.

فعلى لغة هذه الرسالة ليس لأحد أن يدعي أنه صوفي حتى يحقق في نفسه كل صفة
من صفات (الجنيد) و(القشيري) و(النووي) وأمثالهم. فإن أحل بقليل، أو بكثير
كانت نسبة كاذبة. وليس لأحد أن يدعي أنه مالكي، أو شافعي، أو حنبلي، أو حنفي،

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
أو أشعري¹، أو ماتريدي².. حتى يكون مرآة لهؤلاء. فإن أوقع النسبة على بعض الخواص
قالت هذه الرسالة: إنك متهاون بهؤلاء الأئمة.

ولغة هذه الرسالة على شغف العليويين بها، وإقناعها لأي عليوي - إن صح ظنهم
- باطلة، فاسدة ديناً، خاطئة سياسة، واهمة عرفاً. فإن الناس على تباين مللهم ونحلهم
وآرائهم يثبتون النسب والإضافات لأي معنى من المعاني، ولا عليهم في غير ما وضعت
لأجله، أو وجد، أم عدم.

فإننا نقول أشعري على معنى: أنه يذهب إلى ما ذهب إليه الأشعري من المقالات
الكلامية، وإن خالفه في غيرها مخالفة أصلية، أو فرعية. ونقول مالكي عن معنى أنه يذهب
إلى ما يذهب إليه أبو عبد الله مالك في القواعد الفقهية، التي امتاز بها في مذهبه، وإن
خالفه في علم الكلام.

وها نحن نقول فلان عليوي، وإن لم يستطع أن يضع خلوة، ويرقم عليها لفظ (الله)،
ويغني في الهاء من هذا اللفظ..))³.

1 الأشعري: (260-330هـ) من أشهر علماء الكلام. نشأ على مذهب الاعتزال، ثم تركه، وأسس مذهباً
كلامياً في العقيدة ينسب إليه، وأهم ما يمتاز به قوله بالكسب بالنسبة إلى حرية الاختيار. من أهم مؤلفاته:
الإبانة في أصول الديانة. اللمع. مقالات الإسلاميين. الزركلي. الأعلام. ج 7. ص 11.
2 الماتريدي: هو محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي نسبة إلى ماتريد بسمرقند. كان في الحجة مفحماً للخصوم.
دافع عن عقائد المسلمين ورد شبهات الملحدين، توفي - رحمه الله - سنة 333 هـ. له تصانيف كثيرة، منها:
مآخذ الشرائع في الأصول. وكذلك التوحيد في الكلام. الزركلي. الأعلام. ج 7. ص 242.
3 قد ضل من كان مثل هذا يهديه. جريدة الشهاب. السنة 4. عدد 158. 15/صفر/1347 هـ الموافق
1928/08/02 م. ص 10. الآثار. ص 17.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
وقد بدا الشيخ العربي وهو يناظر ابن عليوة هنا بمظهر المتكلمين، في استعماله
لأسلوب الحجاج العقلي. كما بدا أيضا بمظهر المناطقة الذين يستخدمون المنطق الأرسطي
في العرض، والتحليل، والإستنتاج. فمن خلال الإستقراء، وتتبع الجزئيات، وتقدم المقدمات
الصغرى، والكبرى، توصل إلى النتيجة التي أفحم، وأجم بها خصمه.

ولعل استخدامه لأسلوب الحجاج العقلي يبدو جليا في تفنيده لمزاعم (ابن عليوة)
الذي انبرى لحل معضلة الأذان بين مالكيي ميزاب، وإباضييها. حيث قال: ((.. مسألة
الأذان بين مالكية ميزاب، وإباضييها. كتب فيها كتابة لا تجتمع مع الإخلاص في قلب
رجل واحد. إذ دعا إلى الصلح. والصلح كما هو معلوم عبارة عن ترك كل فريق شيئا من
حقه، وهو يعلم أن الصلح لا يدخل الأذان، ولا غيره من العبادات. إذ ليست من حق
العباد، وليس الأذان مما يمكن تجزئته. وهذه الأمور من ضروريات الفقه في كل
المذاهب..))¹.

وبالرغم من كون المسألة المتنازع فيها هنا مسألة دينية فقهية بحتة، إلا أن الشيخ
العربي ذهب إلى تفنيد مزاعم خصمه بالحجاج العقلي، القائم على البرهنة، والحجة المنطقية
العقلية. فقد عد دعوة ابن عليوة للصلح دعوة باطلة من أساسها لكون ابن عليوة لم يفهم
بعد ماهية الصلح ومفهومه. وأين يكون الصلح. وفيما يكون... ودعوته للصلح تلك في
المسائل الدينية الوقفية تجن منه على دين الله من جهة، وكشف لجهل ابن عليوة الفاضح،
في حق المولى تبارك وتعالى، وفي حق دينه الإسلام، وفي حقوق المذهبين الإسلاميين.
وجعله هو الذي دفعه إلى الدعوة إلى الصلح فيما لا يمكن ويستحيل أن يتصلح فيه أصلا.

1 ماهو الإخلاص ومن هو المخلص ؟ مجلة الشهاب. ج 4. م 9. ص 179. الآثار. ص 35.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
ولم يوظف الشيخ العربي في نقض دعوى خصمه أي نص مقدس من كتاب، أو
سنة أو غيرهما. بل عمد إلى محاوره خصمه محاوره المتكلمين، المتمنطقين بالعقل، وبأساليب
الحجاج، والجدال. وقد طغا على خصمه فأفحمه في كل معاركة الكلامية عبر جريدتي
الشهاب، والبصائر. ولم يجد ابن عليوة مناصا من إخلاء المعركة التي لا يملك فيها حجة
كلامية.

وقد تفنن الشيخ العربي في استخدام معارفه الكلامية، والعقلية المنطقية في الرد على
خصومه الطرفين. الذين فقدوا الحججة، وأعوزتهم الوسيلة العقلية في الرد عليه، والإنتصار
لمذاهبهم. وقد تأرجح أسلوبه - رحمه الله - في الرد عليهم بين تمحيصه، وتحقيقه للنصوص
المقدسة، وتحريره لمحل النزاع فيها. بتقديمه للفهومات الصحيحة الصائبة، وإبعاده للفهومات
الضئيلة القاصرة. وبين أسلوب الحجاج، والجدال العقلي. من ذلك رده عليهم: ((.. إن
الأحاديث التي ملأت بها مقالاتك يا (ناصر معروف) لا تدل لغة على أكثر من ثبوت
بعض الأوقات لأذكار محددة حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ليس فيها ما يدل
على الإذن منه لأحد في غير ما حدده، وعمل به سلف الأمة بعده. ولم يفهموا منها إذنا
لهم بالتحديد لغيرهم ليكون تحديدهم كالتحديد النبوي. وقد وثقها أئمة الحديث كما وثقوا
أحاديث الأحكام، وأحاديث الأخلاق، ولم يفهموا منها إذنا لهم أن يحددوا فيما لم يحدد
فيه صاحب الملة.

فوظيفتهم كالسلف. وظيفة عامل أو مبلغ، لا وظيفة مخترع تحديدا أو توقيتا. زيادة
على المحدد من صاحب الحنيفية. فشان الأذكار المحدودة بالعدد، أو الوقت شأن ركعتي

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
الفجر. فكما أننا لا نخترع ركعتي الفجر، ولا نزيد على صفتها، ولا نحدث طريقة تعطي
ركعتي الفجر شكلا آخر، كذلك الأذكار المحدودة وقتا، أو عددا..¹.

والمتمعن في هذا النص يلاحظ فيه مايلي:

1 - اطلاع الشيخ العربي الواسع على علمي الحديث، وشروحاته، وتحقيقات جيل
المحققين له.

2 - تصحيحه للفهومات الخاطئة، وتقديمه للفهومات الصائبة.

3 - استخدامه لأسلوب المناطقة في العرض، والتحليل، والبرهنة، والإستنتاج.

4 - انتهاجه للمنهج التجريبي في الإستدلال على ما يذهب إليه، ونقض أدلة
خصومه.

5 - استخدامه للقياس العقلي بين مسائل متعددة على طريقة المناطقة،
والمتكلمين.

وهكذا تبدو لنا شخصية الشيخ العربي العلمية من خلال هذه النصوص المبسرة
شخصية تشابه - إلى حد كبير - في طروحاتها، ومناقشاتها، ومناظراتها، وكتابتها... طريقة
المناطقة والمتكلمين. ولعل تطرقنا إلى أهم المسائل الكلامية التي تناولها الشيخ يكشف لنا
شخصية الشيخ العلمية كمتكلم، ومنطقي.

* إصلاح المجتمع الجزائري:

1 - دعوته الشعب الجزائري للحفاظ على مقوماته الثقافية :

انطلق الشيخ من معرفة دقيقة وصحيحة للواقع الجزائري، ومن معرفته لمدى احترامه
لأطره المرجعية ومحدداته المقدسة، وعلى ضوء هذا التشخيص الصحيح حث شعبه المتواني

1 إن كنت حاملا فلدي غلاما. جريدة الشهاب. عدد 177. ص 17. الآثار. ص 13.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
الغافل عن إحياء قيمه ومميزاته كاتبا، ومما جاء في ذلك هذه النبذة: ((.. وإثر هذه البسطة
التي لا يراد منها إلا تفهيم الشعب في الواجب عليه نحو دينه ولغته، والأجيال العاقبة بعدنا
أو الوراثة عنا ما نتركه لهم من معنويات واجتماعيات ودينيات وماديات.. ندعو الشعب
الجزائري بجميع طبقاته التي تعمل لأن تبقى هذه الأمة أمة لها خواص الأمم، وميزاتها
ومنشآتها إلى التشارك والتعاون في تسيير المعهد، والتدرج به إلى اللحاق بالمعاهد الإسلامية
شرقا وغربا، وإلى تخليصه وإنقاذه من وضعيته الشاذة الموجود عليها اليوم، وليس هذا بأمر
صعب على أمة كالأمة الجزائرية إذا أخلصت نيات القادة الدينيين والدينيين، وإذا قام
الدعاة إلى العلم بما يجب عليهم من تصفية جهودهم من الأغراض الهدامة، وإنه لمن أكبر
الكبائر مع الله ومع دينه ومع لغة كتابه أن يظل الشعب في ميراثه القديم القريب الضار
المشوه بالخلافات، التي أعانت الزمان على الأمة الجزائرية، فأصبحت لا شرقية، ولا غربية،
لا عربية، ولا عجمية.

فهب أيها الشعب لإعانة معهدك، ونشر ثقافتك والسير مع أهل زمانك، ولن
يضيع شعب حافظ على لغته وقوميته..¹ .

وقد صمم الشيخ في نصه على أهمية الحفاظ على المقومات الحضارية المميزة للأمة
الجزائرية، مؤكدا الحقائق السننية المخبوءة في طباع الأمم ومقوماتها، ومنبها في نفس الوقت
الشعب الجزائري بجميع فئاته لوعيه دوره الحضاري المنوط به في هذه العملية الإحيائية
الرائدة.

1 العربي التبسي. ما يجب أن يكون عليه المعهد في السنة الآتية. جريدة البصائر. سل 2. السنة 3. عدد 90.
الإثنين 1949/09/05 الموافق 13/ ذو القعدة/1368 هـ ص 2.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
منبها أيضا إلى خطر تقاعس فئات الأمة عن الاضطلاع بدورهم دينيا واجتماعيا
وتربويا ومؤكدا على أهمية تضافر جهود فئات الأمة المادية والأدبية لبلوغ هذا المستوى
الحضاري الذي يضمن للأمة حالة الشهود الحضاري الدائم.

2 - تشجيعه على التأليف العلمي :

تعامل الشيخ مع النهضة التعليمية التي شهدتها الجزائر بقيادة جمعية العلماء بمنطق
العالم الذي يرى لكل شيء طريقه الحقيقي بالبحث العلمي، من ذلك فقد شجع على
التأليف العلمي كخطوة صحيحة على درب تأصيل النهضة الإصلاحية عموما والتعليمية
خصوصا، وقد أسندت إليه عملية تقييم رسالة الشيخ مبارك الميلي التي كتبها في العقائد،
ومما جاء في تقييمها قوله: ((.. وإذ بلغت هذه الدعوة الصالحة وانتشرت، وقبلها المسلمون
وعدوها نعمة من الله عليهم، كان تأليف رسالة جامعة لأهم النقط التي يدخل منها ليل
البدع على نور السنن من أوجب الواجبات على حملة السنن، وعلى أعضاء جمعية العلماء،
إذ دعاة الإصلاح اليوم في حاجة ماسة إلى رسالة في هذا الموضوع، جامعة لأدلة هذه
المسائل، ناقلة للآيات أو الأحاديث في كل نقطة من النقط التي تناولتها الرسالة المقترحة
المرغوب في تأليفها، لتكون حجة للمستيقنين، وهداية للمسترشدين، وسيفا مصلتنا على
أعداء السنن المعروفين في الجزائر من المتعيشين بهذه البدع، والعوائد الضالة..))¹
وفي هذه الفقرة أثنى الشيخ على الثغرة العلمية التي تصدى للتأليف فيها الشيخ
مبارك الميلي، بهدف إيجاد إجابات صحيحة ومؤصلة في مجال العقائد، ووضع حد لكل ما

1 هذه مقدمة رسالة الأستاذ مبارك الميلي التي قدمها له الشيخ العربي التبسي بتكليف من المجلس الإداري لجمعية
العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1356هـ - 1937م. مبارك الميلي. رسالة الشرك ومظاهره. مطبعة البعث.
قسنطينة. دون طبعة. 1403هـ. ص أ. ب. ج.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
من شأنه أن يعكس صفو وسلامة هذه العقيدة، ويدنسها من تدنيس المارقين، والمرزقين،
والطرقين. وهي التفاتة علمية من الشيخ لخدمة العمل التربوي في الجزائر، تعد نادرة من
النوادر في وقت كان التأليف فيه من المسائل شبه المستحيلة¹

معوقات الإصلاح الاجتماعي في الجزائر

شخص الشيخ معطيات الواقع الجزائري قبيل انطلاقه في عمله الإصلاحية الفردي
والجمعي، وعلم مكنم الخطر الذاتي والموضوعي، الداخلي والخارجي، وحصره في جملة من
العوامل ردها إلى أسها الأول الاستعمار وأعوانه، الذين خلقوا عبر قرن وربع قرن من
الاحتلال جيل جزائري متخلف، فيه جميع العيوب والسلبيات التي يمكن أن تجتمع في الفرد
المهزوم المرتكس..، ومع قنامة الوضعية الاجتماعية للشعب الجزائري إلا أن الشيخ انطلق
بواجههم بقوة، مدافعا عن هذا شعبه المقهور.

* معوقات الإصلاح الاجتماعي:

بالرغم من استحكام مؤسسات التسلط الاستعمارية: العسكرية، والمدنية،
والثقافية، والدينية، ومؤسسات الاستخبارات الجزائرية المحلية من أئمة رسميين، وزوايا طرقية،
بالإضافة إلى إفرازاتها المرضية على الفرد والمجتمع الجزائري، إلا أن الشيخ والجمعية انطلقا
بقوة لتحدي العقبات الكثيرة والمتمثلة في الاستعمار ومؤسساته، والطرقية ومؤسساتها،
وإفرازات التخلف ونتاجها الوخيمة المستحكمة في الفرد والمجتمع الجزائري، وعن الإدارة
الاستعمارية كتب منددا بممارستها القمعية: ((.. وتحارب الإسلام محاربة عنيفة قاسية

1- شجعت الجمعية حركة التأليف فيها، فقد ألف المدني مجموعة كتبه، كما ألف عبد الرحمن الجيلالي كتابه
الشهير في التاريخ ومحمد الصيد في تاريخ الجزائر الموجز، ومحمد الصالح الصديق كتابه في المقاصد، ومبارك الملي
في العقائد.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
استمرت مائة واثنين وعشرين عاما، تغنصه من أهله وتمنعهم من أن يقوموا بدينهم في
مساجدهم كما أمرت شريعتهم، ومهما يكن من شيء فإن فرنسا في الجزائر استعمارية
وكفى، فلا هي لائكية، ولا مسيحية، ولا ديمقراطية، ولا تحترم في الواقع لا المسيح ولا
وصاياه، ولا المسيحية ولا تعاليمها..¹
والمتعمن فيما ذهب إليه الشيخ في تعامله مع الظاهرة الاستعمارية الفرنسية وغيرها
يتبين له أنه حللها وفهمها وواجهها بالمنظور القرآني الفاضح والكاشف لها، والمقاوم لها،
فقد عرف عن الشيخ أنه ما هادن الاستعمار أو سألته إلا لمصلحة الإسلام والمسلمين في
الجزائر.

1 - أئمة الإدارة الاستعمارية الرسميين:

وعن أئمة الإدارة الاستعمارية الموظفين الرسميين أجراء السوء المرتزقين، أعوان
الاستعمار على استئصال الشعب الجزائري كتب منددا وفاضحا: ((.. أما أجراء السوء
الذين يدعون أنهم رجال دين محمد، فهم أعوانها على إفساد هذا الدين، يأكلون ثمرها
ويطيعون أمرها، ولا عليهم في الإسلام والمسجد والإمامة والفتوى، وهمهم من هذه أن
يأخذوا عليها أجرا من الاستعمار، فهم معها يغضبون لغضبها، ويرضون بتصرفاتها ما
أجزلت لهم العطايا، وناولتهم الأجور، فهم على خلاف رجال جميع الأديان من أبناء
الدنيا، فالله يهلككم أيها الأعوان للغاصبين على دينهم ولا يهلككم.

إنَّ الذين لا يشاركون الحكومة في هذه المظالم بأعدائكم يا معشر أئمة الاستعمار
ومفاتيحه، وإنما أنتم تعادون من قال للظالم اتق الله ولا تظلم دينه ومعابده والمسلمين، ونحن

1 العربي التبسي. مواعيط رمضان (4). جريدة البصائر. سل 2. السنة 6. عدد 231. الجمعة
18/رمضان/1372هـ الموافق 29/ماي/1953م. ص 1.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
مادامت فرنسا لم تسو بين الأديان الثلاثة في المعاملة والعدل، ومادامت تخص الإسلام
بالعدوان والحرمان من قوانين فصل الدولة عن الأديان، فإننا سنبقى في موقف المدافع عن
ديننا المظلوم، ونعتقد أننا في موقفنا الدفاعي لا نعدم عون الديمقراطيين الأحرار أفراداً
وجماعات، وأن الإسلام المظلوم من الاستعمار الفرنسي لم يأت بعمل يحمل فرنسا على
معاملته بهذا الظلم من بين الأديان، لا في العهد القديم، ولا في الجديد.

فمساجدنا وأئمتها ومفاتي الفقه الإسلامي لم يعلنوا ثورة على فرنسا باسم الدين،
ولم يصرفوا أموال الأوقاف في محاربة فرنسا، ولم يتخذوا من المعابد الإسلامية مراكز تجنيد،
ولا معسكرات ثورة في ماضي الأيام قط، فالإسلام هو موؤدة الاستعمار الفرنسي المعتدى
عليها بلا ذنب منه..¹

وقد تعامل الشيخ مع هذا الفصل من الأئمة المرتزقة لدى الإدارة الاستعمارية
بالمناطق الذي تعامل به القرآن الكريم معهم²، فجاهبهم بمخازيهم وفضائحهم، وعرى
حقيقتهم المخبوءة للناس، ولم يخش الشيخ مجابتهم بمخازيهم وفضائحهم أمام الملاء في
صحف الجمعية ومنابرها، إذ يسهر هذا الصنف من الأئمة المنافقين على طاعة فرنسا
وخدمتها، يغضبون لغضبها ويرضون لرضاها، ويعملون على تسخير كل حقائق الدين
المقدسة لخدمة مشروعها الاستعماري، واستدلال الجزائريين باسم الدين.
يفعلون كل هذا كفعل المشترين بآيات الله ثمناً قليلاً، إذ يتقاضون الأجور الزهيدة
من الاستعمار مقابل إسداء الخدمات الجلييلة والطعن في دينهم.

1 العربي التبسي. موايعظ رمضان (4). جريدة البصائر. سل 2. السنة 6. عدد 231. الجمعة
18/رمضان/1372هـ الموافق 29/ماي/1953م. ص 1.

2 انظر سورة التوبة والمنافقون والبقرة وغيرها، ففيها صورة وممارسات وسلوكات المنافق.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي

2 - حملات الغزو والاستئصال الثقافي الاستعمارية:

ومن بين أهم التحديات التي أعاقت الفكر الإصلاحية من أن يتغلغل في شرائح المجتمع الجزائري مؤسسات الاستعمار المختلفة: الدينية والثقافية والتربوية والتكوينية والإعلامية والأدبية.. المضطلة بدورها التخريبي المنوط بها في إطار الخطة الاستعمارية الشاملة لمسخ هذه الأمة الجزائرية العربية المسلمة من قيمها ومثلها العلاء، ونقلها إلى حالة من الضياع والتلاشي، لتصبح من غير دين أو شريعة أو أخلاق أو نظام.. وعن هذه الحملات الإبادة كتب مواجها الاستعمار بحقيقته التخريبية البشعة:

((.. وهذه شر حرب أعلنها الاستعمار على ديننا ولغتنا وجماعتنا، وما يعلنه الاستعمار على معهدنا مكانا ولغة يقال على بقية المقومات، فالمعاهد الأخرى لها أوقاف قديمة ينفق منها على تسييرها، أما أوقافنا التي أوقفها الواقفون للدين والعلم فسلبها منا الاستعمار، وسماها أملاك الدولة، وجزأها إلى ما يباع إلى النازحين إلى الجزائر من الأمم الأوربية وإلا ما أبقى ملكا للدولة، وإلا ما جعل ملكا للحوز وعلى أعراض الواقفين وعلى المشاريع الخيرية والعلمية دينية أو دنيوية العفاء. لأن الاستعمار حيوان مسلح لا يعرف إلا ما كانت لغته القوة والسلاح..))¹

والحمل لموقف الشيخ من حملات الغزو والاستئصال الثقافي والديني واللغوي التي يتعرض لها الشعب الجزائري يتبين حرصه على توعية الشعب بقيمه ومثله الإسلامية العلاء، المهتدة من المؤسسات الاستعمارية التغريبية، كما يتبين حرص الشيخ على مواجهة الاستعمار بقوة، فاضحا فيه كل أساليبه وألعيه البراقة.

1 العربي التبسي. حول قضية فصل الدين عن الحكومة نريد نيات طيبة لا خطبا بليغة. جريدة البصائر. سل 2.

السنة 4 عدد 177. الاثنين 17/12/1951م الموافق 18/ربيع/1371هـ. ص 2. 7.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي

3 - السياسة التجهيلية الاستعمارية:

يحتتم الشيخ تصويره لواقع الفرد والمجتمع الجزائري المزري بتألم كبير عما آل إليه أمره من التراجع والانهيار نتيجة السياسة الاستعمارية التجهيلية، إلى أن وصل إلى الموات المعنوي في الحياة، حيث كتب معنفا: ((.. أفلا يتعظ بأن إهمالهم وتسليمهم للجهل والفقر ومساوئ الأخلاق، وفساد عقلهم وتربيتهم، وتعودهم للموت المعنوي والإنحلال الخلقي، قضى على معنويات الفرد ومسح إنسانيته، وقتل كرامته وأخرج منه كل معاني المروءات وخواص الشرف، وأصبحنا في وطننا الجزائري لا يرى أحدنا أن سعادته بأتمته، وأن غناه بأتمته، وأن قيمته تابعة لقيمة أتمته، وأن أمة فسدت أفرادها، وهانت آحادها، واعتدى الزمان عليها، لا يمكن ولا يتصور أن يبقى لا الإسلام، ولا الإيمان، ولا آداب المسلمين، ولاعبادات المؤمنين، ولا فضائل المتقين في شعب كهذا.

ذلك لأن دين الإسلام بني على اجتماعيات شعبية تتلاقى عندها أفراد الأمة وتتجمع عندها آحادها، وينضوي تحت لوائها مريضها وعريبها وفقيرها وجاهلها ومظلومها، فيجد العون على الكربة والنجاة من الكريهة.

إن زماننا معشر الجزائريين قد دارت دورته وضرب ضربته، ونقل فردنا وأسرتنا إلى حالة أقوام آخرين، كانوا قبل اليوم بأربعة عشر قرنا يعيشون عيشة الفرد الشقي بفرديته لا يسأل عن غيره، ولا يسأل غيره عنه، يلد ويعيش لنفسه، ويتدين لنفسه، خرج من بطن أمه ذاهبا لقبره، غير معرج على دنيا الناس ولا على آخرتهم.

هذه وضعية أفراد الشعب الجزائري، وهذه الفردية توجد ملايين الجهلة، وملايين من الجياع، وملايين من أصحاب العاهات في هذا العصر، الذي ذابت فيه الأفراد والجماعات في الشعوب، وأمت المصالح العامة، كالتعليم والصحة وضمن العيش وما إليها... تعيش

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
ملايين من عرب الجزائر في كل ناحية من نواحي حياتها واجتماعياتها على الفردية الهزيلة
المهينة.

إلى متى يا ترى ترضى الجزائر العربية المسلمة لنفسها هذه الحالة ؟ وماهي العاقبة
والنهاية لهذا الشعب ؟ إن دام على هذا السير، ورضي بهذه الوضعية، واستمر هذا المرعى
الويل، واستطاب هذا المنزل الموبوء..¹

والمتمعن في ما ذهب إليه تشخيص الشيخ لواقع الفرد الجزائري المزري في ظل
السياسة والغزو الاستعماري الرهيب يلحظ تأكيده على المسائل التالية:

1 - واقع الفرد الجزائري الديني المزري، وتأثير السياسة الاستعمارية فيه، وتقاعس
الدعاة والمرشدين عن الاضطلاع بواجبهم الإرشادي نحوه.

2 - فساد تصورات وعقائد وقيم.. الفرد الجزائري بفعل تدجيل الدجاجلة ومروق
المارقين بما لفتوه له من قيم فاسدة، ومعايير باطلة ليست من معتقدات الإسلام الصحيح
في شيء.

3 - حالة الموات الروحي والإغماء المعنوي التي آل إليها أمر الفرد والمجتمع الجزائري.
والذي يمعن في تحليل الشيخ لواقع الفرد الجزائري المنهار، ولصورة المجتمع الجزائري
المزري يتبين مدى الهم الإصلاحية الذي يحمله الشيخ تجاه أمته ومجتمعه، ومدى الشوق
الصادق الذي يحمله للنهوض به من سباته العميق، بعد أن هضم مشاكله، وأدرك أسبابها
الحقيقية، ووضع يده بدقة وعمق على دوافعها الذاتية والموضوعية.

4 - دور التبشير المسيحي في إعاقعة الإصلاح الإسلامي:

1 العربي التبسي. مواعيز رمضان (6). جريدة البصائر. سل 2. السنة 6. عدد 234. الجمعة
17/شوال/1372هـ الموافق 26/جوان/1953م. ص 1.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
وعن دور المبشرين المسيحيين وخطرهم على الشعب الجزائري العربي المسلم كتب
الشيخ منبها للمجهودات الجبارة التي يبذلونها في سبيل نصره دين المسيحية ودحر الحصون
المتداعية المتبقية للدين الإسلامي في العالم كله، وفي الجزائر خاصة: ((.. وعلى القارىء أن
يلقي نظرة إلى جمعيات التبشير التي يرأسها الدكتور (زويمر) فإن هاته العصاة أوقفت نشر
الديانة المسيحية كل ما أعطوه من قوة، وما وهبوا من حيل، وقد كان الفشل يظلمهم، والخيبة
تسببهم، على خطورة المساعي التي يبذلونها وراء نفرتهم إلى كل قطر من الأقطار، سواء في
آسيا أو أفريقيا، فما قنطوا ولا فشلوا، وحملوا أنفسهم على تكاليف وأوصاب لا تقل عن
الإصر والأغلال. فتقوم المرأة الأمريكية من البرازيل أو الإنكليزية من إحدى الجزر البريطانية
قاصدة أمة لا تعرف لها لغة ولا عادة ولا تقاليد، وهابطة أرضا لم تألف لها جوا ولا غذاء،
تشدد حاجة، وتروء أمنية، تلك قره عينها، ونداء حياتها، كأنما خلقت لتعمل بذلك المبداء،
وتسير على تلك السنة على ضعف طبيعة المرأة.

وسيان عندي لصحة المثل أكانوا فيما قطعوا فيه الأعمار على ظل من الصواب -
وما أبعد عنهم - أم كانوا كمن يمشي مكبا على وجهه وسوف يتردى ؟ وإنما نغبطهم
على صحة العزيمة، وشدة التمسك بما تهيأ لهم أنه حق، فكأنما أصل هاته الأمم مسك،
وأصل أمتنا طين..))¹.

وعن المعمرين، والقادة العسكريين الاستعماريين في الجزائر، وسائر أعوانهم من
الاندماجيين الجزائريين، وفلول الزوايا والطرفيين أسال الشيخ حبرا كثيرا في فضحهم وكشف
مخازيهم.

1 العربي التبسي. ألا أيها النوام وبحكم هبوا. جريدة النجاح الأسبوعية. السنة الثامنة. عدد 298. قسنطينة.
الجمعة 18/ماي/1926م الموافق 05/ذي القعدة/1344هـ. ص 1. 2.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي

* خلاصة الإعاقاة الاجتماعية :

نبه الشيخ إلى معوقات الإصلاح الديني والاجتماعي في الجزائر، وعدد أصناف أعداء الإرشاد والإصلاح الإسلامي بكل شجاعة وجرأة إيمانية فريدة، وحصرهم في مجموعة من الأصناف، وجاهر بعوائدهم ومناوئتهم والتشهير بهم، وفضحهم أمام الرأي العام المحلي والإقليمي والعالمي في مختلف المناسبات الرسمية وغير الرسمية، الدينية والوطنية، الشخصية والجمعية والاجتماعية.

وقد حصر الشيخ أعداء الإصلاح الإسلامي ومعوقات العمل الإصلاحي الاجتماعي في الجزائر في الأصناف التالية:

- 1 - الإدارة الاستعمارية بشقيها العسكري والمدني، المحلي والمركزي.
- 2 - المبشرون المسيحيون.
- 3 - أعوان الإدارة الاستعمارية من المسلمين الجزائريين العاملين في السلك الديني الإسلامي: (أئمة. مفتين. مدرسين).
- 4 - الزوايا والطرق وشيوخها وأتباعها.
- 5 - النخبة الاندماجية الجزائرية.
- 6 - عدم الفصل بين الدين والسياسة.
- 7 - ضياع الحقوق والحريات.
- 5 - عدم الفصل بين الدين والدولة :

وعن أهم مبدأ من مبادئ النظام الديمقراطي الغربي المتمثل في الفصل بين الديانة والحكومة، وإبعاد هيمنة الإدارة الاستعمارية عن الدين الإسلامي ومؤسساته ورجاله وأوقافه.. تجلت حقيقة الإدارة الاستعمارية واضحة، في تناقضها بتطبيق بعض مبادئ

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
الديمقراطية على الفئتين الأثيرتين من الدينين المكرمين في الجزائر دون جنس وديانة الأغلبية
المسلمة فيه، وقد عالج الشيخ هذه المسألة كغيره من رجال الجمعية، ومما كتب فاضحا:
(الساسة الفرنسيون في الجزائر يدخلون السياسة على الدين ويضعونها على منابر ومحاربه،
ويعطلون المعابد عن أداء ما أسست له، فإن رفعنا أصواتنا منادين باحترام حرية الدين
والمعابد قال هؤلاء الساسة: إن جمعية العلماء هيئة سياسية، وكان من حقهم أن يقولوا:
نحن الذين أفحمتنا سياستنا على دين الإسلام بالجزائر ولغته، وعلى المتدينين من أئمة
ومأمومين.

وكما أن معهدنا أبعد عن مكانه وهو المساجد، فإن لغة هذا المعهد في نظر
الاستعمار لغة أجنبية محتقرة، ولا يعنيه إن كانت اللغة العربية لغة هذا الوطن منذ أكثر من
ألف سنة، وإن قال علماءهم قديما ومؤرخوهم قبل أن يتلى العالم بالاستعمار إن شمال
أفريقيا أمة عربية اللسان العامي، وعربية اللغة العلمية وعربية التعاليم الدينية وعربية القضاء،
لا فرق بين مراكشها وجزائرها وتونسها وطرابلسها.

واللغة الأجنبية بعنوان أجنبيته معزولة عن حياة الشعب، وكل شيء أبعد عن حياة
الشعب تعرض للموت والمجران، فمعهدنا بحكم أن لغته أجنبية في نظر الاستعمار ابتعد
عنه الماديون وطلاب العيش وإن فصلوا أنفسهم عن تاريخهم ودينهم وقوميتهم.

وهذه شر حرب أعلنها الاستعمار على ديننا ولغتنا وجماعتنا، وما يعلنه الاستعمار
على معهدنا مكانا ولغة يقال على بقية المقومات. فالمعاهد الأخرى لها أوقاف قديمة ينفق
منها على تسييرها. أما أوقافنا التي أوقفها الواقفون للدين والعلم فسلبها من الاستعمار،
وسماها أملاك الدولة، وجزأها إلى ما يباع إلى النازحين إلى الجزائر من الأمم الأوربية. وإلا ما
أبقى ملكا للدولة. وإلا ما جعل ملكا للحوز وعلى أعراض الواقفين، وعلى المشاريع

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
الخيرية، والعلمية دينية، أو دنيوية العفاء. لأن الاستعمار حيوان مسلح لا يعرف إلا ما
كانت لغته القوة والسلاح..¹

والمحلل لما كتب الشيخ يتبين تركيزه على الحقائق التالية:

1 - كشف حقيقة الإدارة الاستعمارية من الديانة الإسلامية في الجزائر بتدخلها،
وتحكمها المستمر فيها، وفي رجالها ومؤسساتها.

2 - استئثار الإدارة الاستعمارية بتوجيه وتسيير الدين الإسلامي في الجزائر، واتهامها
المستمر جمعية العلماء بالتدخل في العمل السياسي لاضطلاعها بشؤون الدين الإسلامي
ومؤسساته.

3 - محاربة الإدارة الاستعمارية لمقومات الأمة الجزائرية العربية المسلمة، بمحاربة لغتها
العربية التي تعد لغة غريبة في ديارها، وبين أهلها.

4 - كشف حقيقة الاستعمار في تناقضه بين تصريحاته بمبادئ الديمقراطية، وبين
تطبيقاته الاستعمارية البعيدة كل البعد عن تصريحاته الصورية الجوفاء.

6 - ضياع الحقوق والحريات :

وعن واقع الجزائريين وبحشهم عن حقوقهم المهدورة في ظل الإدارة الاستعمارية
الغاشمة، التي أثقلت كاهلهم بواجبات كثيرة وقاسية تجاهها، وتجاه معمرها الجشعين.. كتب
الشيخ موضحا: ((.. نحن في ساعة لسنا فيها بالشذاذ ولا الغرباء، وإنما نحن في القافلة
الإنسانية الكاملة، ولكننا نختلف عن هذه الأمم اختلافا جوهريا لأن بيننا حواجز حصينة
عميقة سميقة، فالعلم عندها حق للشعب على الحكومة، ثم هو يتناول جميع الأفراد، فلا

1 العربي التبسي. ما يجب أن يكون عليه المعهد في السنة الآتية. جريدة البصائر. سل 2. السنة 3. عدد 90.
الإثنين 1949/09/05 م الموافق 13/ ذو القعدة/1368 هـ ص 2.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
يقيم اعتبارا لجنس أو لون أو دين. ولذا فهي في مثل هذه الآونة تعد المدارس للأطفال،
والمعاهد للشبان، والكليات لذوي الاختصاص، وكل واحدة من هذه المدارس تفيض على
بني الإنسان بنوع من العلم المفيد، وأسلوب في التربية جديد.

هكذا تفعل الحكومات الرحيمة، فهي تلتفت في هذا اليوم نحو الشعب التفتاة الأم
لأبنائها حين يمسهم الجوع. لأن العلم في مقدمة الحقوق الطبيعية للإنسان مادام الإنسان
هو العقل والفكر، لا الجثة الحيوانية المطلقة.

أما أنتم أيها الجزائريون فقد ابتلاكم الله بقسوة لا تعرف اللين، وشدة لا تعرف
الرحمة، وجور لا يعرف الإنصاف، وحكام لا يحترمون الوعود، هذه الوعود الرسمية التي لم نر
تحقيقها في يوم من الأيام فيما يتصل بالإسلام وشؤونه والمسلمين ومعتقداتهم.

ومما أذكر في هذا السبيل من التصريحات الكثيرة لكلمة للمسيو " ليونار " ¹ الوالي
العام حين حضر لتوديع الحجيج في إحدى السنوات القريبة قال: (إن فرنسا قد خرجت
من الدين الإسلامي، وسلمت ما يتعلق به إلى المسلمين الذين سوف يتمكنون منه).
واستبشر الناس بهذه الكلمة لأنها كلمة فرنسا على لسان ممثلها.

ولكن فرنسا لم تنفذ من هذه الكلمة الرسمية حرفا واحدا، وإذن ففرنسا لازالت على
جورها في هذه المساجد، لأنه ليس من وظيفتها ترميم المساجد ولا إصلاحها، ولا تعيين
أئمتها، وهذا الصنيع من فرنسا يعد إغالا في التدخل في شؤون الدين الإسلامي، وكل من

1 السيد ليونار: سبق التعريف بمسيو ليونار قسم الآثار. ص 77.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
سار وراءها في هذا السبيل يعد إما جاهلا بالإسلام أو كائدا له، والجميع ليسوا إلا طلاب
عيش، ولكن ليعرفوا أن التعيش على حساب الدين مر ومر جدا¹ ..)).²

والمحلل لما كتب الشيخ يلحظ تركيز الشيخ على كشف وإبراز الحقائق التالية:

1 -تنديده بالإدارة الاستعمارية الفرنسية التي حرمت الشعب الجزائري من التمتع
بأبسط حقوقه الطبيعية البشرية كحق الحياة الكريمة، وحق العمل، وحق الصحة، والتعلم...
2 - كشف حقيقة الإدارة الاستعمارية الفرنسية التي تنادي بدعايتها الكاذبة في
المحافل الدولية العالمية، وعبر مختلف وسائل الإعلام، وفي ضمير الرأي العام العالمي بالتغني
بتطبيق مبادئ الديمقراطية وتحضير الشعب الجزائري من همجيته.. وواقع الحرمان الحقيقي
الذي يعاني منه.

3 - تقديم الأمثلة عن واقع الحكومات الرحيمة بحقوق شعوبها.

4 - إكثار الإدارة الاستعمارية الفرنسية من الوعود الكاذبة للجزائريين بمنحهم
التمتع ببعض حقوقهم. تمهيدا لفرض المزيد من الواجبات القهرية عليهم، ومخالفتها لوعودها
الرسمية التي صدرت على لسان أكبر المسؤولين، وعلى أعلى المستويات طيلة عهدها
الاستعمارية المظلمة في الجزائر.

1 كان الشيخ العربي يستغل خطبه الدينية والاجتماعية في صب جام غضبه على فرنسا الاستعمارية التي لم ترع
حرمة ولم تحفظ عهدا، وغدرت بعهودها التي قطعتها لداي الجزائر عشية تسليمه للجزائر وفق معاهدة شريفة مع
قائد الجيوش الفرنسية.

2 ألفت هذه الخطبة في افتتاح العام الدراسي بالمعهد الباديسي يوم الاثنين 02/10/1953م. ثم نشرت على
حلقتين في جريدة البصائر. سل 2. السنة 6. عدد 247 الاثنين 13/أكتوبر/1953م الموافق 07/ربيع
أول/1373هـ. ج 1. ص 1. جريدة البصائر. سل 2. السنة 6. عدد 248 الاثنين 20/أكتوبر/1953م
الموافق 14/ربيع أول/1373هـ. ج 2. ص 2

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي

عوامل النهوض والإقلاع الحضاري

شخص الشيخ العربي واقع الجزائر الشمولي، مشرحا بدقة وبموضوعية وضعية الفرد والمجتمع والأمة ومؤسساتها المغتصبة، العاجزة عن تأدية دورها في ظل السياسة الاستعمارية القمعية، متصورا مجموعة من العوامل الكفيلة بنهضتها وإقلاعها الحضاري، بعد أن شرّح أسباب تخلف الأمة الجزائرية.

1 - أسباب تخلف الأمة الجزائرية:

كتب في سبيل تعميق فهمه لأسباب تخلفها، وقواعد النهوض بها الكثير من المقالات، منها هذه النبذة التي جاء فيها ما يلي: ((.. إذا كان الإصلاح الإسلامي ونفع الأمة الجزائرية والنهوض بالناشئة الوطنية أمورا محتمة على الفئات المثقفة تثقيفا صحيحا، فإن وسائل الإصلاح وذرائع إفادة الشعب ومقومات النهوض بالناشئة أوجب عليهم، ما دامت قاعدة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما دامت وسائل الحق حقا، وما دامت ذرائع العبادة عبادة، قواعد أصولية وقوانين اجتماعية، لا بد لنا من السير في مدارجها ما دمنا نريد أن تكون مساعيها مكلفة بالفوز، وجهودنا مصحوبة بالتوفيق، وسعيها مثمرا.

ومعلوم لنا في أول ما ركز الله في عقولنا أن جلت قدرته ربط حلقات هذا العالم ربطا محكما، وجعل لكل شيء علة تتقدمه، وترتبط به ارتباطا وثيقا، وجعل المسببات تنشأ عن أسبابها عند ملابسة المكلف للأسباب، وتنعدم عند انعدام أسبابها.

ذلك خلق الله عند حضور الأسباب الموضوعية للسببية، وسننه التي عرفها عباده، وعلمهم سببيتها، وكيفية التسبب، وأراهم أنهم على قدر إحسانهم للتسبب، وعلمهم بالأسباب، وبراعتهم في التذرع والتماس الذرائع المنهية إلى المسببات، يكون فوزهم بالمقاصد، سواء في ذلك التسبب الديني في الشرائع، أو التسبب الدنيوي في الحياة ومرافقها.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
وإذ أفهمنا ربنا هذه الأسباب التي تعد سنته في خلقه، ورحمته التي قام عليها عمران
هذا العالم الأرضي، وبات عملنا بهذا التنظيم الإلهي علما ضروريا عاما في كل عصر ومصر
وأمة، لا يشذ عنها أحد إلا في أحوال استثنائية، ولا يختلف فيها سبب عن سبب عرفت
سببته، ولا يخرج عن مسبب من المسببات، فقد وجب على القائمين بالإصلاح في هذه
الأمة الجزائرية، أن يدخلوا في هذه السنة عملا لا اعتقادا فقط. وأن يتخذوا من الذرائع
والأسباب المباشرة ما يفضي إلى المقاصد، التي نصبوا أنفسهم لتحصيلها، وقصدوا لخدمة
الأمة من جهتها، وأن يلتمسوا من الأسباب ما تحققت سببته، سواء في ذلك ما عرف
قبل، وما وجد في هذه الآونة.

وقد وجد فيما جد من دعائم المدنية أن كل مبدأ لا تخدمه الهيئات، ولا تستشعره
الجماعات، هو مبدأ صائر إلى حيث صارت الشعوب البائدة، وأن توحيد قوى العاملين
باسم واحد، ولغاية واحدة في هذه العصور من الضروريات لنجاح الأفكار، وحياة المشاريع.
وأن الفرد، وعلم الفرد، وتفكير الفرد، وجهود الفرد هذه كلها - آلت في نظر هذا
العصر - كبقية من بقايا العصور الماضية، التي انتقلت من وظيفة العمل بها إلى وظيفة
الاعتبار بها، وهي داخلة في أخبار الأولين كآلتهم، وماعونهم.. حيث انقطعت صلة الأمم
بالاتكال على الفرد وجهوده، وحلت الجماعات محل الأفراد، وأصبح عمل الفرد في شؤون
الجماعة في هذا العصر غير مرضي عنه، وبات التعاون في كل شيء رمزا عاما في العالم،
وعلى قدر تشبع الأمة بعقلية التعاون في كل شيء، وبالأعمال الاجتماعية تعلق الأمة،
ويتمد رواق سعادتها..¹

1 العربي التبسي. إعداد الوسائل للنهوض بالمجتمع. مجلة الشهاب. الجزء 5. المجلد 7. جمادى أولى/1352هـ.
ماي/1932م. ص 17.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي

بدا الشيخ وهو يتناول أسباب ودواعي تخلف الأمة الجزائرية والعوامل الرئيسة للنهوض بها كأنه متخصص في حقل الدراسات الاجتماعية الحضارية الاستشرافية، حيث ركز جهوده الفكرية بكل دقة في فهم معالمها البارزة، وفي كفاءات وآليات الخروج منها على المستويين الفردي والجمعي الاجتماعي والنفسي. ومما جاء في تحليله الرصين الحقائق التالية:

1 - معالجة مشكلة التخلف بالمنظور العلمي لها، وذلك بدراسة أسبابها، وممارستها، ومظاهرها، ثم وضع الآليات المرحلية للخروج منها.

2 - إيلاء العناية بوسائل ومرافق الإصلاح نظرا لدورها المهم في عملية التغيير والإصلاح.

3 - دور الهيآت الجمعية الرئيس في عملية الإصلاح، وتراجع دور الفرد.

4 - الاستفادة من تجارب الأمم الغربية الناهضة، ممن أولت العناية للمجهودات الجمعية في عمليات الإصلاح والبناء.

وهكذا يتعامل مع مشكلات المجتمع الجزائري بالمنظور العلمي الإسلامي الجرد، والمؤسس على المرجعية المقدسة من كتاب أو سنة أو من فهومات وأعمال السلف الصالح من الأمة، مراعيًا في تحليلاته القيمة طبيعة ومنطقية الأشياء، وطبيعة النمو، ومرحلة التطور، وسنتية النواميس والقوانين التي أودعها الله في مخلوقاته منذ براهيم في هذا الوجود.

2 - عوامل النهوض بالأمة :

لم يكتب الشيخ بمناقشة وعرض أسباب ومظاهر التخلف في المجتمع الجزائري، بل عمل على حث الأمة الجزائرية إلى معرفة عوامل نهوضها وإقلاعها الحضاري أولاً، مذكرا نخبهم المستنيرة خاصة بتزعم قافلة الإحياء الجديدة التي سيكون بها إنقاذ المجتمع الجزائري من ليله المظلم، ومما كتبه في هذا الصدد هذه النبذة: ((.. فتنهض إلى نشر التعليم

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
الإسلامي في تلك الربوع التي طال عهدنا به، وأماتت الأيام منه ما يعيد على الأمة
شبابها، وتأتي مرافق الحياة من كل أوب ووجهة، وبأي سبب يدعو إليه منادي الدين، حتى
يؤدي كل فرد من الأمة ما خلق له، وما ينبغي له، وما ينبغي أن يكون عليه، مخلصا في
عمله، وتبذ تلك الضلالات التي ملأت الأدمغة، وعلقت بالعقول، وفرخت في الصدور،
والبدع التي زرعتها في الأمة نفر نحلوا لأنفسهم زعامة الدين قبل أن يدروا ما الدين؟ وما
يدعو إليه؟ وما يحكم به على هاته الزعامة، فرموا بأمتهم في أسوء عاقبة، وأتعمس مغبة.

ولترد على اللغة العربية شبابها، وتحبي ذكرها بكل الطرق والذرائع، ليفهم الشعب
العربي الإسلامي الذي تحولت لغته إلى رطانة في منطقة، وخلط في مفرداته، حتى أصبح
لسانه مزيجا: أن لا دين، ولا قومية، ولا أمة، ولا أي مقوم أو مميز للأمة إذا هي مضت فيما
عليه من الجهل بلغتها، والعزلة عن تاريخها، ورضت لنفسها أن تكون في حجاب بينها وبين
آداب ومفاخر أسلافها، تلکم المفاخر التي باتت دراسة الرسوم.

أمن أمانیکم أن تكونوا مسلمين؟ وبه تدينون وأنتم لا تفقهون ما به الإسلام؟
وعليه التوحيد من كتاب عربي مبين، وجوامع كلم أوتيت لخير المرسلين.
أنتنمون إلى العربية ولا تلجون لها بابا، ولا يأوي إلى مجالس شيوخكم نشؤكم،
فيروي عنهم ما خلده لكم أسلافكم من أنيق اللفظ ورائع المعنى.

هيهات أن تصح تلك الأمانی الضائعة. ألا بارک الله فيکم اعتبروا بغيرکم، وقلدوا
سواکم من الأمم والشعوب والقبائل الذين جاهدوا أنفسهم، وركبوا الأخطار وحملوا مشاق
وتكاليف باهظة، وذهبوا كل مذهب لنشر لغتهم خارج أوطانهم، وتحبيب غيرهم فيهم،
فأنفقوا الأموال وأشادوا بمفاخرها، وبنوا لها من المفاخر والفضائل صروحا عالية، وليست
حاجتهم إلى لغتهم بالغة حاجتكم إلى لغتكم.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
فلغتكُم ولو تناهت عندما تدور لغة بقية الأمم غير الإسلامية عليه من مرافق الحياة
وقضاء الحاجات لسهل الخطب، وخف الوقع، ولكن لغتنا إليها يعود بقاء الدين، ويظل
مهيمنًا على القلوب، ماسكا بالأرواح، فماذا عليكم يا أهل اليسار والجاه، والعلم لو علمتم
ما به تكون أمتكم أمة، وشعبكم شعبا يحسب له حساب هو أهل له..¹

وهنا نرى مدى إيمان الشيخ بدور النخبة المثقفة في الاضطلاع بعملية الإقلاع
الحضارية، هذه النخبة التي ستعمل على تعريف كل فرد بدوره - مهما ضؤل - الحضاري
المنوط به لإنقاذ هذه الأمة، وهذه الحقيقة التي تعامل بها الشيخ مع واقع ظاهرة التخلف في
الجزائر مستقاة من منهج النبوة الرشيد في اتخاذ النقباء الممثلين لأقوامهم، والسفراء، والدعاة،
والرسل للقبائل والشعوب.²

وعند توفر الحد الأدنى من الجماهير الواعية بدورها الحضاري المنوط بها ستتحيا بهم
قيم الأمة ومبادئها ولغتها، وستنمو وتزدهر مؤسساتها التربوية والاجتماعية والثقافية،
وستضطلع أيضا بدورها التنموي للإنسان وللمجتمع المتخلف.
وهنا يبدو لنا فهم الشيخ الدقيق لمفهوم المجتمع القائم على الآصرة الجمعية أولا،
وعلى التفاعل العلائقي الإيجابي ثانيا، وعلى دور المؤسسات الجمعية التنموي ثالثا، المنافي
للتراكم السلبي لمجموع الأفراد، أو للتجمع البشري الغريزي لهم.
وبهذا التفاعل الإيجابي ستتحيا قيم الأمة ومثلها العلا بعد مواتها، كما ستدب فيها
من جديد روح الحياة الاجتماعية المعهودة في الأمم الناهضة.

1 العربي التبسي. هذه جزائرکم تحتضر أيها الجزائريون فأنتقوها. جريدة النجاح. السنة السابعة. عدد 238.
الجمعة 1925/10/13 م. الموافق ل26/ربيع الأول/1344هـ. ح 1. ص 1. وعدد 240. ج 2. ص 1.
2 انظر مثلا: ابن كثير. السيرة النبوية. ج 2. ص 173.. ج 3 334.. ج 4. ص 8..

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
وكما يبدو لنا تفكير الشيخ الأفقي العميق في طروحاته النهضوية الداعي إلى
ضرورة الاستفادة من التجارب الآنية الموازية، فإن فكره العمودي العميق يبدو أيضا من
خلال دعوته لاستقراء حقائق التاريخ ووقائعه، والتعامل معه بمنطق الاستفادة والاعتبار،
لأن الحقيقة التاريخية واحدة متعاقبة، ولا يتغير فيها مضمونها الخيري أو الابليسي، أللهم إلا
تعاقب وتداول الزمن والأشخاص والكيانات.

3 - دور الشريعة الإسلامية في إصلاح الفساد السياسي:

علق الشيخ العربي مناطات الإصلاح كلها في الجزائر على تطبيق الشريعة
الإسلامية، التي سيكون بها إنقاذ الفرد والمجتمع الجزائري المتخلف، وهو كغيره من المصلحين
المسلمين الذين لا يرون سبيلا للإصلاح في غير تطبيق الشريعة الإسلامية، وعن هذه
الشريعة المصلحة كتب: ((.. وهاهي السياسة قد خابت وخاب السياسيون، وخابت
الآمال المعلقة على تلك السياسة، وخبنا فيمن نرجوه لإصلاح حالتنا، ونحن كما نقول
نعيش فردا لا جماعات ولا أمة، ونعيش أشقياء بهذه الفردية، وها نحن قد التمسنا مجموعة
من الأدوية، وجماعات من الأطباء، فلم نشف أمراضنا، ولم نبرأ من أسقامنا، ولم تعد إلينا
صحتنا، فهل من دواء لأمراضنا؟ وهل من أطباء يستعملون ذلك الدواء الشلي لمرضنا؟
ونحن مسلمون نؤمن بحديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله من داء إلا
وأُنزل له دواء)¹.

1 حديث ((ما أنزل الله من داء إلا وأنزل...)) أخرجه البخاري عن أبي هريرة، في كتاب الطب، باب ما أنزل
الله من داء ج 7. ص 15. وأحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود في مسند المكثرين من الصحابة رقم
3397.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
نعم الدواء لأدوائنا، والترياق المحرب لأمرضنا واحد لا ثاني له، وما ذلك الدواء إلا
عودتنا تائبين منيبين إلى العمل بشريعتنا الإسلامية المعصومة الكفيلة بإسعاد هذا الفرد
الشقي، وإصلاحه من جميع نواحيه، ومداواته من كل أمراضه، كما دوته يوم فسد قبل الآن
بأربعة عشر قرنا.

واسألوا التاريخ أيها المرتابون عن ذلك إن كنتم في ريب من هذه الحقيقة؟ والشريعة
الإسلامية المحصورة في كتاب الله وسنة رسوله وفهوم السلف الصالح لهما، دواء للإنسانية في
فردتها وجماعتها من أمراضها الأخلاقية والاجتماعية والدينية، واستعمال تلك الشريعة في
مجالها يأتي بالشفاء والبرء والصحة والسعادة.

وقد تداوى الفرد المريض والجماعة المريضة والمجتمع المريض من الأمراض الشبيهة
بأمراضنا والفاعلة بالمصابين بما فعلها فينا وأشد وأوجع فشفوا من أمراضهم، وصحوا من
أدوائهم، وعادت إليهم مزاياهم الإنسانية، وكرامتهم البشرية، وبرز الفرد بفضائله إلى هذا
العالم ليكون الفرد الذي عناه رب السماوات السبع ورب العرش العظيم في خطابه
للملائكة تعريفا بهذا الفرد الذي آوى نفسه بكتاب ربه: (إني جاعل في الأرض خليفة)¹.
تلك الشريعة التي تداوى بها ذلك الفرد هي الموجودة بعينها لم يغير منها حرف،
ولم يحرف لها نص، ولم ينسخ لها حكم بعد من جاء بها، ولم يتبدل فيها فهم، ولم يأت
لها الزمان بما يوهنها، أو يبطلها، أو يشك فيها: (تنزيل من حكيم حميد)².

فخواصها بالأمس البعيد هي خواصها في اليوم الحاضر: (لا تبديل لكلمات
الله)¹، ثم إنها بالأمس لم يتداوى بها ألفاظا، ولم يستشف بها كلاما، ولم تأت بخواصها،

1 سورة البقرة. آية 36.

2 سورة فصلت. آية 42.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
ووجوهها، ونتائج تشريعها، وحكمها - كما يظن - انتسابا إليها، وتفرجا فيها، وموالات لمن
عاداها أو هجرها، أو استعمالا لها في غير ما جاءت له الشريعة، دواء للفرد، والجماعة من
الأمراض الروحية، والاجتماعية، والأخلاقية والدينية، وإنما جاءت تلك الخواص نتيجة
لجهاد النفس، ونتيجة للإيمان، ونتيجة للعمل، والطاعة..²

وعن هذه الشريعة المنقذة ركز الشيخ على إبداء الحقائق الربانية الكامنة فيها، ناقدا
بقوة من أن يكون للسياسة أو للسياسيين، أو لمشاريعهم ومخططاتهم السياسية المحلية
والمستوردة أي دور في إنقاذ الفرد والمجتمع الجزائري من تخلفه، مبينا في نفس الوقت إفلاس
كافة طروحات السياسيين الجزائريين أو الاستعماريين التي حاولوا من قبل تجربتها لحل
مشاكل الشعب الجزائري وفشلوا فشلا ذريعا، وليس لهذه الأمة من حل ناجح دون تطبيق
الشريعة الإسلامية التي بها حل مشكلة التخلف.

هذه الشريعة التي تحوي التعاليم الربانية الصادقة، والمنزلة خصيصا لحل مشاكل كل
البشرية، والتي أثبتت نجاعتها تاريخيا في مداواة أمراض المجتمعات البشرية الجاهلية، وتكفلت
بإخراجها من أزمتها الأخلاقية والاجتماعية وغيرها.

كما ركز على خواص الشريعة الإسلامية الربانية المنزلة على البشرية الجاهلية بهدف
إصلاح حالها، فخواصها الإصلاحية بالأمس هي خواصها الإصلاحية اليوم، وليس على
الجزائريين المتخلفين إلا تجربتها واكتشاف خواصها التغييرية التي ستقلع بهم من عتبة
التخلف إلى مستوى الرقي.

1 سورة يونس. آية 64.

2 العربي التبسي. مواعظ رمضان واجب ديني على علماء المسلمين. جريدة البصائر. سل 2. السنة 6. عدد
235. الجمعة 24/شوال/1372هـ. الموافق 1953/07/02م. ص 1.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي

4- دور الوسائل المرفقية في النهوض بالأمة :

ولغرض الخروج بالأمة الجزائرية من عتبات التخلف انطلق معرفا إياها بأهمية الأخذ بالأسباب الحقيقية المنقذة منه، والتي هي من صميم التدين الحقيقي، الذي أمرنا فيه الله بالأخذ بأسباب الرقي والتطور، وأن نكون أخضع الناس للتعامل مع سنن الله المختلفة بمنطقية نواميسها الربانية التي يرى عليها الكون والموجودات، ولا يوجد أعظم مخرج للنهوض والإقلاع الحضاري بالأمة غير الأخذ بكل بالنواميس الإلهية شريطة مقارنتها بأصفي وأطهر النيات، وعن ذلك كتب الشيخ هذه النبذة منها النخب المستنيرة: ((.. ونحن بما أننا أمة إسلامية، والإسلام دين غذاؤه العلم، يجب علينا أن نكون أخضع الناس لما جرت به سنة الله في خلقه، ولما علمناه من قدرة في هذا الكون، وأن نكون أيضا من أشد الناس عملا بما فهمناه من سنن الله، لأننا مع كوننا في اتباعنا سنن الله نأتي البيوت من أبوابها، ونأخذ الشيء من جهته نكون قد خضعنا لقدر الله الذي ما خلق هذه الأسباب وسببها إلا لتطلب المسببات من ناحيتها ومن طلبها من ناحيتها التي خلقها الله لتطلب منها ممثلا، منقادا لحكمة الله، فذلك من أعظم الطاعات إذا قارنتها النيات..))¹.

5 - دور النوادي في النهوض بالأمة:

ومن هذه الأسباب النهضوية التي ترتقي بمستوى الفرد والمجتمع والأمة مرافق التربية والتعليم، والتكوين والتثقيف وعلى رأسها النوادي الثقافية والأدبية، التي يجتمع فيها خيرة المثقفين من مستنيري الأمة، وفيها يتفاعلون فكريا وثقافيا، ويرتقي بعضهم ببعض.

1 العربي التبسي. إعداد الوسائل للنهوض بالمجتمع. مجلة الشهاب. الجزء 5. المجلد 7. جمادى أول / 1352هـ.

ماي / 1932م. ص 17.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
وعن هذه النوادي التثقيفية نبه الشيخ كاتبها، كما نبه في إطار سعي الجمعية بفتح ناد
في كل بلدة جزائرية، ومن تنبيهه إلى أهميتها التثقيفية هذه النبذ: ((.. وإن في بعض القوانين
الفرنسية لفائدة كبيرة للأمم، تلك القوانين الإنسانية التي شرعتها الأمة الفرنسية لخدمة
الإنسانية، أعني قوانين إنشاء الجمعيات الإنسانية، وإحداث النوادي التي يمكن بسببها أن
تتعاون في تبادل الآراء، وتعارض الأفكار، وتبادل المعارف في هذه النوادي، التي اعتنت بما
الأمم جد العناية، حتى صارت النوادي في كل قرية ومدينة وعاصمة ضرورة من ضروريات
الحياة الاجتماعية في الغرب، وباتت النوادي تعد من دور الثقافة، ومعاهد نشر العلوم
والمعارف.

ووضعية النوادي إذا أدارتها الأيدي الشريفة وضعية ملائمة لتبليغ الدين، وتلقي
علومه، وتصوير فضائله، وتعلم أصوله وفروعه، بعقد محاضرات في أوقات معينة، ينتهياً فيها
لكل أحد حضورها. وذلك باختيار أوقات فراغ العمال وأرباب الأشغال اليومية، وجعل
دروس أو محاضرات أو مسامرات في هذه النوادي، التي أصبحت من الأمور التي يجب على
المسلمين وعلماهم، وزعمائهم، وأغنيائهم، أن يعمرها كل بلدة من بلدان القطر بناد خال
من المحرمات. يخدم فيها الإسلام.

وتعد هذه النوادي كمدارس ابتدائية تجهز تلاميذها من العامة التي تحضر محاضراتها
ومسامراتها التي ستكون عامرة بالدعوة إلى الإسلام، وإلى تكاليفه وأخلاقه وفضائله، وشيء
من حياته الأولى، وتراجم رجاله، فإن في ذلك بعثاً للنفوس على العمل.

وتكون النوادي في إعانة المساجد، تعد للمساجد المصلين، وتهذب للهيئة
الاجتماعية العامة، وتكون النوادي بالنسبة إلى المساجد، كمدارس ابتدائية تجهز العامة
للمساجد التي هي بمنزلة المدارس العليا.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
فأكرم بنوادي هذه مهمتها، وأحب بمكان يخدم الإسلام هذه الخدمة، وأعزز
برجال ينشؤون للأمة هذه النوادي التي لا تقل في نظر الإسلام على المدارس، وتعد أفضل
عند الله وعند العلماء الذين يرجون للإسلام خيرا من بعض الزوايا، التي ليس فيها للعلم
ذكر، ولا للسنة حديث، ولا لتاريخ الإسلام أثر.

وإننا أصبحنا في عصر تدوب فيه الأمم الجاهلة، وتدهور فيه الشعوب السلبية، التي
تعيش فرادى، ويضمحل سوادها، وتصبح أثرا بعد عين، وإن الأمة التي تستطيع أن تغالب
الدهر وتقف في وجهه، هي الأمة الاجتماعية ذات المظاهر القومية والصبغة الوطنية
والشعار القومي، وأن هذه الدعائم الأمية تحتاج إلى مقر تلتقي فيه وتستمد منه حياتها وتجد
فيه مظاهرها، وتتلقى منه ما تجدد في العالم حتى يمكنها أن تسير مع القافلة الإنسانية.

وأن الإسلام هو ذلك الدين الذي يدعو معتنقيه إلى أن يكونوا في هذا العالم: المثل
الأعلى، وجملة المبادئ الحية التي تطارد الجهالات والأوهام والخرافات، وتضع الأمة
الإسلامية في موضع أمة غنية، عالمة سائرة في الطليعة الأولى من الأمم الحية.

وإننا لو أسسنا النوادي على هذه المبادئ، وعمرناها بالمحاضرات العلمية التي تتناول
أصول الإسلام بالشرح والإيضاح، ودفع المفتريات عنه، ورد ما يقال عنه بهتاناً، وأظهرنا
للأمم التي تساكنتنا: أن الإسلام الذي جاء به صاحب هذه الملة غير ما يرى في الشوارع
والأسواق، من الأعمال التي يأتيها من لا يذهب مع تعاليم الإسلام.

ولو فعلنا ذلك لخدمنا الإسلام في أبنائه، وعلمناهم ما لا بد للمسلم منه لنفسه،
وأهله ولزوجته، ولأمته، ولكل من تربطنا به روابط، ولخدمناه في نظر العلم أيضا، وأظهرنا ما
فيه من فضائل ومزايا قد ينقذ الله بها أناسا كان يصددهم عن الإسلام قلة معرفتهم به،
وظنهم أن حالتنا التي بلغت أقصى درجات السقوط ناشئة من عملنا بالإسلام وتمسكنا به،

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
ولو دروا أن وقوعنا في الهاوية العميقة سببه الخروج عن تعاليم الإسلام، لنظروا إلى تعاليم
الإسلام نظرة إكبار.

ولو أسست هذه النوادي على هذه الشرائط لقمنا بفرض واجب علينا، وهو فرض
الدعوة إلى الدين، والتبشير به، وإقامة حجته على المخالفين له، وإظهار أنه دين البشرية،
وأنه الدين البريء من حمل معتنقيه على الأمر، وتكليفهم ما لا يستطيعون.

هذا بعض ما يمكن أن يقوم به بعض العلماء في الوطن، لو أن مدن الوطن عامرة
بالنوادي، والجمعيات المختلفة الأسماء، المتفقة على الأغراض الخيرية¹.

فالمبادرة المبادرة إلى تأسيس النوادي العلمية، وتوظيف علماء ربانيين بها عارفين
بالدين كتابه وسنته، ليخدموا الإسلام، ويبشروا به، ويهدوا به من أراد الله هدايته¹ .²

1 نادي الترقى بالجزائر العاصمة:

بدعوة من أعيان الجزائر أنشأ علماء ومصالحو ومفكرو وأدباء الجزائر (نادي الترقى)، الذي افتتح رسميا يوم
18/جويلية/1927م. وقد افتتح الشيخ (عبد الحميد بن باديس) النادي بسلسلة من المحاضرات، وكانت
محاضرته الأولى (الاجتماع والنوادي عند العرب). وقد أخذ النادي بعد ذلك يشهد أسبوعيا محاضرة عن
الأوضاع الدينية والثقافية، والأدبية، والفكرية دون التطرق للأوضاع السياسية لاعتبارات عديدة. وقد كان نادي
الترقى قبلة التقاء المثقفين الجزائريين والعرب الزائرين.

وقد حقق النادي جملة من الأهداف الإصلاحية والتنقيفية والفكرية والتاريخية.. للجزائريين ولثقافتهم المغيبة، وكان
من أهم المكاسب التي ولدت في نادي الترقى هي:

- 1 - تأسيس جمعية الفلاح الخيرية. 2 - جمع وحدة النواب الجزائريين في المجالس الفرنسية. 3 - اجتماع مؤتمر
طلاب شمال أفريقيا. 4 - تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية الكبرى. 5 - مقاومة سياسة التجنيس والإندماج.
- 6 - مساعدة الكفاح الفلسطيني. 7 - تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. 8 - مقاومة التبشير المسيحي
ومحاولة تكوين (الاتحاد الديني السماوي). 9 - جمعية الزكاة. وقد حاول النادي تأسيس مصرف إسلامي ولكن
الإدارة الاستعمارية عارضت ذلك. وظل النادي يضطلع بدوره إلى أن اندلعت الثورة التحريرية الكبرى. * أحمد
الخطيب. جمعية العلماء. ص 105.. ت

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي

والدارس المحلل لتركيز الشيخ على أهمية النوادي الثقافية، وعلى أهمية كثرة أعدادها وتنوعها، واستثمارها بالمستثمرين والمتقنين والعاملين من علماء الأمة الإسلامية الجزائرية يلحظ النتائج التوعوية التي ستعود بالخير على المسيرة الإصلاحية التغييرية في الجزائر.

ومما نبه إليه الشيخ عن دور هذه النوادي في عملية التغيير المسائل التالية:

- 1 - أهمية الاستفادة الأفقية الموازية من القوانين والابتكارات الغربية، ومنها هذه النوادي التي باتت تتوسع لتغدو في كل مكان، ولتصبح المكان المفضل لاجتماع الناس.
- 2 - طرق وآليات الاستفادة الإيجابية من هذه النوادي، وفضائل استثمارها على الدين الإسلامي وقيمه، وعلى اللغة العربية وآدابها، وعلى الأخلاق ومكارمها، وعلى صلاح الأمة ورفيها.
- 3 - أهمية إدارة هذه النوادي من قبل الإدارات السوية لتحسن توجيهها الإيجابي لخدمة الدين وفضائله.

1 أسست جمعية العلماء العدد الكبير من النوادي الثقافية الفكرية الأدبية في سائر أنحاء القطر الجزائر حتى لتكاد كل قرية أو بلدة صغيرة تعزز بوجود ناد ثقافي تابع لجمعية العلماء. كما توسعت في فتح وإنشاء النوادي إلى فرنسا حيث أسست قرابة العشر نواد لأبناء الجزائريين المقيمين في فرنسا سنة 1938م. كما لعب ناد تبسة التابع لجمعية العلماء دوره الريادي، والتثقيفي بسبب وجود الشيخ العربي المستمر فيه، وقد أسس أهل تبسة ناديهم مجاورا للثكنة العسكرية الفرنسية سنة 1933م. انظر مالك بن نبي. مذكرات شاهد القرن. ص 185.. 262. وجريدة البصائر. عدد 103. 11 مارس 1938م. وعدد 108. 15 أبريل 1938م. وعدد 117. 10 جوان 1938م. وعبد الحميد زوزو. الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1938م. المؤسسة الوطنية للكتاب. الطبعة الأولى. 1985م. ص 135.

2 العربي التبسي. إعداد الوسائل للنهوض بالمجتمع. مجلة الشهاب. الجزء 5. المجلد السابع. جمادى أولى/1352هـ. ماي/1932م. ص 17.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي

4 - أهمية هذه النوادي في الاضطلاع بحملات التطهير والتوعية ضد أمراض المجتمع الفتاكة كضرب الخمر، والتدخين، والمخدرات، والقمار، والتشرد، والبطالة..

5 - أهمية الدور التعبوي والنفسي الذي تضطلع به هذه النوادي في: نفخ الروح الوطنية، وبعث روح الاعتزاز بالماضي المجيد، والتاريخ الغابر للأمة، وفي خلق شعور جمعي راق للمجتمع.

6 - أهمية الدور التربوي والتعليمي، ولحقو الأمية لصنف الكبار من العمال، والمتقاعدين، والعاطلين عن العمل ممن فاتتهم فرصة طلب العلم في المدارس، فهي بمثابة المدارس الخاصة للكبار.

7 - أهمية الدور الدعوي والإرشادي لهذه النوادي، حيث يقصدها من لا يستطيع إتيان المساجد، فيجد فيها الموعظة الحسنة، والكلمة الطيبة، والدعوة إلى الله، والتذكير بماضي السلف المزهر فتقوده للذهاب طواعية إلى المسجد طلبا للاستزادة.

ولهذا كله فقد حث الشيخ أمته الجزائرية للنهوض من غفوتها، حيث وجه لها هذا الخطاب الذي فيه الكثير من أدبيات نقد الذات، ومواجهتها بمساوئها عليها تعي وتنطلق نحو الرقي والتقدم، ومما جاء فيها قوله: ((.. والحالة بين ما فيه أمتكم، وبين الحالة السيئة التي ظلت الأمة فيها وفي شر عواقبها تتخبط حتى جرت مثلا بين شعوب الشرق والغرب في الجهل والتفرق وعدم الشعور بالواجب، ويكفي مهانة أن يكون الشخص جزائريا.

وإني ما بهت قومي، ولا كذبتهم الخبر. فحال أمتكم ومكانتها في نفسية الشعوب شرقا وغربا هي تلك.

فأين سرقة الجزائر وأغنيائها وأصحاب الرأي؟ وهذا خطر يهدد البلاد ويوعدها بالاضمحلال، وينذرهما بالدمار، أن تغار على كيان الأمة المشرفة على الهلاك.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
أما فيكم من تحتدم الروح الإسلامية في صدره ؟ والأنفة العربية في دمائه ؟
فيستسهل كل كؤود، ويدلل كل الصعاب التي تعترض الأمة في سبيل حياتها، فإذا أنتم على
قمم السعادة، وأمتكم في مصاف الأمم غير منقوصة في حقها.
نحن نفهم والعالم يدري أن الفرد الجزائري قوي أبي كريم صدوق، قد وهب من
ضروب الكمال ما لم تنله أفراد، وتجمعه جماعة من غير استثناء، ولكن إصلاح الأمم،
ومصير الشعوب ليس من مقدور الفرد، ووظائف الآحاد، وإنما هي مرتبطة بالجماعة ارتباط
العلة بالمعلول والمسبب بالسبب.

فهيوا بنا إلى العمل متضامنين مجتمعين، ويد الله مع الجماعة، والخير فيما رأت
الأمة، ومن قدر أن ينفع أحاه فليفعل، ولعمري انه لحق عليكم إصلاح أمتكم، وما لكم
لا تفعلون، واذكروا تلك الآية الجامعة: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره)¹.
أما إذا بقيتم كما كنتم، وعلى ما عرفتم، ورضيتم النقيصة في دينكم ودنياكم
وجماعتكم ولغتكم، فإياكم عنى الشاعر العربي إذ قال:

إن دام هذا ولم تحدث له غير *** لم ييك ميت ولم يفرح بمولود² .

والمتمعن في هذا الخطاب الموضوعي القاسي، المليء بالحقائق الواقعية الأليمة التي
كان عليها الفرد والمجتمع الجزائري يتبين حجم المرارة والألم التي كان يعاني منها الشيخ
عندما تذكر الجزائر أو اسم الفرد أو المجتمع الجزائري بين الناس في الشرق أو في الغرب،
هذه الأمة التي تخلق عنها نخبها ومثقفوها وأغنيائها وسائر القوى الحية فيها مما جعلها عرضة

1 سورة الزلزلة. آية 7. 8.

2 العربي التبسي. إعداد الوسائل للنهوض بالمجتمع. مجلة الشهاب. الجزء 5. المجلد السابع. جمادى
أولى/1352هـ. ماي/1932م. ص 17.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
للآلة القمعية الاستعمارية الفرنسية البشعة تعبت بما كما تشاء، فأفقدتها مقومات وجودها
الرسالي، ومميزاتها البشرية الإنسانية أيضا.

مع تركيزه الدائم والأکید على العمل التضامني للأمة، الذي به يصدق طريق
النهوض الإقلاع، وإلا فلا كانت الجزائر أمة، ولا كان فردا إنسانا، والموت لها خير من
عيش المهانة.

* إجراءات النهوض والإقلاع العملية:

كل داعية أو مصلح يستتج خلال فترة طلبه للعلم كما تجريبا مهما في مجال العمل
الإرشادي، كما يكتشف خلال ممارسته للعمل الدعوي والإرشادي كما تجريبا آخر تفرزه
التجربة الواقعية، فتجتمع لديه التجربة التاريخية النقلية الموروثة مع التجربة الواقعية الواعية له
خلال طلبه للعلم أولا وممارسته للعمل الدعوي الناضج ثانيا، يبلورها أخيرا في شكل قواعد،
تصلح أن تكون ذخرا علميا وعمليا فذا لممارسي العمل الإصلاحي من بعده، وهذا ما
فعله الشيخ العربي - رحمه الله - خلال مسيرته الدعوية في الجزائر، مقدما لنا هذه القواعد
كمنطلقات عملية للنهوض والإقلاع الحضاري.

* قواعد أساسية لنجاح العمل الإصلاحي في الجزائر:

مهد الشيخ لقواعده الإصلاحية الأساسية بتأصيل شرعي مستمد من سيرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم العملية خلال ممارسته عليه الصلاة والسلام للعمل الدعوي،
حيث كتب: ((.. قد ظهر أيها المشايخ أن بالإرشاد يبقى الدين على ما جاء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وتبقى معالمه الواضحة بينة للمستبينين، وآدابه لامة للمتأدبين،
وفضائله زينة للمتجملين، ومزاياه فضيلة ومحجة للعاملين، وحججه القائمة بينة للمستدلين،
ولكون النظام يزيد الحق تمكنا، ويعطي للقائمين به سهولة وقوة في تنفيذه أرى أنه يجب

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
على رجال الجمعية أن يضعوا برنامجا للوعظ يسرون على وضعيته، ويصرون بضوئه،
ويهتدون بحكمه، ويأخذون أنفسهم على العمل به، وذلك البرنامج للإرشاد الديني إذا
وضع وضعاً محكماً، وحافظ على السير على تعاليمه لا نشك أنه يأتي بالفائدة من الوعظ
والإرشاد..¹))

1 - الإسلام الثوري لا الإسلام السكوني الجامد:

وعن رؤيته للدين الإسلامي الخفيف صاحب الحلول الناجعة لمختلف المشاكل
كتب الشيخ الكثير من المقالات والأبحاث ناثراً فيها مفهومه ورؤيته للدين الإسلامي، الذي
كان يراه ديناً ثورياً تحريراً، ديناً حركياً منشطاً، ومفعلاً لكل الطاقات الحية في الإنسان
والأمة، جاء ثورةً وانقلاباً على كل أشكال الفساد والطغيان.. وفي هذا الصدد كتب: ((..
لا غرابة في جهادكم وجهودكم فإن الإسلام ثورة. أجل ثورة على الفساد والظلم في جميع
الميادين وفي جميع العصور. ثورة تفتح سيولها العارمة كل من يأخذ على البشرية طريقها إلى
السمو الروحي، والكمال الإنساني، والتحرر الوجداني، والانطلاق في سماء الحرية التي هي
من أقدس حقوق الإنسان. يجاهد في سبيلها بكل أسلوب من أساليب الجهاد، وبالقلم إن
أمكن، وبالسيوف إذا لم يكن منه بد.

إن الإسلام لن يرضى بهذه العزلة التي فرضتها عليه السلطة الجائرة. فالإسلام بوصفه
عقيدة وعمل ومصحف وسيوف كما يقولون، يجب أن ترفع أمامه هذه الحواجز والسدود
التي تعرقه عن الانطلاق.

ولكي ينشر الإسلام ظل رحمته وعدله يجب أن يتحكم في جميع علاقات الأمة، لا
فرق بين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والإعلامية..، وإنه لا توجد مهزلة

1 العربي التبسي. تقرير في كيفية الدعوة والإرشاد. سجل مؤتمر جمعية العلماء الخامس. 1935م. ص 45.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
أعظم من هذه المهزلة التي يقوم بتمثيلها النحاسون من تجار الرقيق حين يعترفون بأن الأمة
الجزائرية مسلمة، ثم يفضلون أن تظل الأمة الجزائرية محكومة بغير الإسلام وتاريخه العظيم،
ولن يستقيم هذا المنطق إلا في شرعة عباد الوثنية والمال...¹.

والمحلل لما كتب الشيخ في هذه القاعدة المهمة يرى بوضوح تركيزه على إبراز العناصر
المهمة في الدين الإسلامي الحنيف، التي تعد من أهم خصائصه التي هدمها الاستعمار في
قلوب الناس طيلة قرن وثلث قرن من الهوان والاستعباد، وعمل بكافة قواه وإمكاناته على
أن ينسى الشعب الجزائري كل الأبعاد التحررية والتكريمية النبيلة لدينهم الإسلامي الحنيف.
وقد تعمد الشيخ - رحمه الله - إبراز الخصائص الثورية التغييرية في الدين الإسلامي
التالية:

- 1 - كون الإسلام ثورة على كل أشكال الظلم والعدوان والفساد في كافة الأزمنة
والأمكنة.
- 2 - كون الإسلام معراج قيمي يرقى بالإنسان والإنسانية إلى مدارج الكمال
النفسي، والسمو الروحي، والعلو الأخلاقي، والشدو التربوي، والانضباط القانوني، والقصد
المعيشي.
- 3 - تعداد مكونات وخصائص الإسلام العامة فهو: عقيد، وعبادة، وعمل،
وسيف، ومصحف.

1 ألفت هذه الخطبة بمناسبة زيارة الشيخ العربي ووفد جمعية العلماء إلى مدينة عين تيموشنت أيام 08. 09.
10 /أفريل/1953م. ثم نشرت في جريدة البصائر. والعربي التبسي. خطبة بمناسبة تشكيل شعبتين لجمعية
العلماء بمدينة عين تيموشنت. جريدة البصائر. سل 2. السنة 6. عدد 226. الاثنين 17/أفريل/1953م
الموافق 03/شعبان/1372هـ. ص 7.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي

4 - رفض الدين الإسلامي لكل أشكال الهيمنة والاستبداد.. التي يتعرض لها الشعب الجزائري المسلم على يد الاستكبار الفرنسي.

5 - إيمان الشيخ العربي بالمفهوم الإسلامي الشمولي، الذي لا يرى تطبيق جانب من الشريعة، وترك جانب آخر، وتعطيل أجزاء أخرى.. بل الإسلام كل متكامل يؤخذ كله، أو يترك كله، ولكي يجد قيمته الحقيقية في حل مشاكل الفرد، والأسرة، والأمة لا بد له أن يجد لنفسه بين عامة المسلمين طريق التطبيق العملي الشمولي لا تفريق بين ماهو اجتماعي أو اقتصادي أو تربوي أو سياسي.

6 - كشف الشيخ لأباطيل المزيورين والمتاجررين.. بالدين الإسلامي من غلاة المستعمرين وأعوانهم.

وهكذا يبدو الشيخ مؤمنا بقيم الإسلام الصحيحة كما أنزلها الله على نبيه ليحرر الناس من عبادة العباد نحو عبادة رب العباد، وبذلك يتحرروا من كل قيود الاستعباد.

2 - دور الجيل الإسلامي الواعي في تحقيق التغيير والنصر:

علق الشيخ الآمال الكبار على نوعية فريدة من الأجيال الجزائرية المتميزة، في سائر مواصفاتها الإنسانية والأخلاقية والتربوية.. هذا الجيل الذي كان يرى به تحقق أسباب النصر والتغيير، الذي طالما انتظرتة الأمة بعد ظلام سرمدي استعماري رهيب.

وعن هذا الجيل المتميز الذي يحمل بذور التغيير والنصر كتب الشيخ واصفا: ((.. إن أمتنا تجتاز فترة حرجة، بلغت من الخطورة أقصاها، فهي في حاجة إلى رجال يجيش في صدورهم الشعور بالغيرة والوطنية. يعملون على إخراجها من هذا الظلام السرمدي، ويخلصونها من هذه القيود الجائرة التي تربطها بعجلة الاستعمار. ولكن أين هؤلاء الرجال؟ رواد الحرية، الذين امتلأت قلوبهم إيمانا بنفوسهم، وبحقهم في الاستمتاع بالحياة اللذيذة

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
الكريمة. وأكثر رجالنا من الأرقاء، الذين لا يجدون غضاضة في إحناء هاماتهم للشيطان من
أجل حطام الدنيا، فكأن الحياة ليس فيها ما يستهويهم سوى الجانب المادي. أما الشرف.
أما الكرامة. فتلك أشياء لا يقيمون لها وزنا.

إن الشباب معقد آمال الأمة ورجاؤها وعدتها في المستقبل، وهم الدم الدوري
الصافي الذي ينقل الغذاء إلى جسمها، والشباب قوة فلا سبيل لأن نتركها تتلاشى في
الفضاء. وقد أدركت الأمم الحية قيمة الشباب فاتخذت أنجع الأساليب لتربيته وتدريبه على
العمل والاستفادة من قوته، ويجدر بنا هنا أن نذكر في هذا المقام أن الإسلام يملك أفضل
الطرق لحماية الشباب وتهذيب غرائزه وتنظيم شهواته، وصرفه إلى ميدان الشرف والنجدة
والكرم، وحب الوطن، والدفاع عن الحوزة.

إن تعاليم الإسلام كلها رياضة روحية، تهدف إلى الإصلاح الفردي والجماعي والمرأة
بوصفها مدرسة أولى تصوغ عقول الأطفال، وتربي أرواحهم، وتعددهم إعدادا ملائما حتى
يحققوا في المستقبل ما يرجوه منهم الوطن والأمة..¹

والمتمعن في المواصفات والمكونات التي يجب أن يكون عليها جيل النصر والتغيير
المنشود، يلحظ تركيز الشيخ فيه على العناصر التالية:

1 - أنه جيل متفرد في قيمه وعواطفه تجاه وطنه وأمته.

2 - جيل يجيش صدره بقيم التحرر والانعقاد.

1 نشر هذا البيان التاريخي الحاسم المعبر عن موقف الجمعية السياسي في مؤتمرها السنوي والأخير في عمرها في
جريدة البصائر، وجريدة الأهرام القاهرية عدد 35253. بتاريخ 1956/01/20م. وفي جريدة الأخبار المصرية
عدد 1111. بتاريخ 1956/01/20م. وجريدة البصائر. سل 2. السنة 9. عدد 349. الجمعة
1956/01/13م الموافق 29/جمادى أولى/1375هـ. ص 1.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي

3 - جيل يرى من أولى واجباته تخلص أمته من سرمدية الاستعمار الرهيب.

4 - جيل متفرد في تصوراته ورآه، وعواطفه ومشاعره وطموحاته وآماله وتطلعاته.

5 - جيل متحرر من كل قيود الشيطان والهوى، وشهوات النفس، والاستبدلال

الاستعماري.

6 - التنبيه إلى دور المرجعية الإسلامية في حفظ وتربية وتكوين وتأطير هذا الجيل

الرياني المتميز.

والخلاصة من عرضنا السابق نتبين مدى فهم الشيخ العربي لدور الجيل المتميز الذي

على يديه يتحقق النصر ويكون التغيير. هذا الجيل الذي يجب عليه أن يرث الخصائص

الإيجابية من آبائه فقط، ولا يرث غيرها، لأن تحقيق التغيير لن يتأتى إلا بالخصائص الفريدة

لوحدها.

ومن هنا نتبين مدى إدراك الشيخ لهذه المسألة المهمة التي أمضى فيها جل حياته

مربيا ومعلما، ومرشدا وواعظا، وداعيا ومجاهدا في سبيل الله.

3 - العمل بسنن التغيير :

وإيمانا منه بسنن التغيير التي أودعها المولى تبارك وتعالى في جبهة الأشياء والموجودات

مذ برى الخلق، وجعلها قانونا للاضطراد والنمو والتغيير نبه الشيخ إلى هذه المسألة المهمة،

التي كان يرى أنه من الواجب الأكيد معرفتها بالنسبة لعامة المتعلمين وللمرشدين على وجه

الخصوص، حيث كتب: ((إذا كان الإصلاح الإسلامي، ونفع الأمة الجزائرية، والنهوض

بالناشئة الوطنية أمورا محتمة على الفئات المثقفة تثقيفا صحيحا، فإن وسائل الإصلاح

وذرائع إفادة الشعب ومقومات النهوض بالناشئة أوجب عليهم، ما دامت قاعده: ما لا يتم

الواجب إلا به فهو واجب، ومادامت وسائل الحق حقا، وما

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
دامت ذرائع العبادة عبادة، قواعد أصولية وقوانين اجتماعية، لا بد لنا من السير في
مدارجها ما دمنا نريد أن تكون مساعينا مكلفة بالفوز، وجهودنا مصحوبة بالتوفيق، وسعينا
مثمرا.

ومعلوم لنا في أول ما ركز الله في عقولنا. أن جلت قدرته ربط حلقات هذا العالم
ربطاً محكماً، وجعل لكل شيء علة تتقدمه، وترتبط به ارتباطاً وثيقاً، وجعل المسببات تنشأ
عن أسبابها عند ملابسة المكلف للأسباب، وتنعدم عند انعدام أسبابها.

ذلك خلق الله عند حضور الأسباب الموضوعية للسببية، وسننه التي عرفها عباده،
وعلمهم سببيتها، وكيفية التسبب، وأراهم أنهم على قدر إحسانهم للتسبب، وعلمهم
بالأسباب، وبراعتهم في التذرع والتماس الذرائع المنهية إلى المسببات، يكون فوزهم
بالمقاصد، سواء في ذلك التسبب الديني في الشرائع، أو التسبب الدنيوي في الحياة ومرافقها.
وإذ أفهمنا ربنا هذه الأسباب التي تعد سنته في خلقه، ورحمته التي قام عليها عمران
هذا العالم الأرضي، وبات عملنا بهذا التنظيم الإلهي علما ضروريا عاما في كل عصر ومصر
وأمة، لا يشذ عنها أحد إلا في أحوال استثنائية، ولا يختلف فيها سبب عن سبب عرفت
سببته، ولا يخرج عن مسبب من المسببات، فقد وجب على القائمين بالإصلاح في هذه
الأمة الجزائرية، أن يدخلوا في هذه السنة عملا لا اعتقادا فقط. وأن يتخذوا من الذرائع
والأسباب المباشرة ما يفضي إلى المقاصد، التي نصبوا أنفسهم لتحصيلها، وقصدوا لخدمة
الأمة من جهتها، وأن يلتمسوا من الأسباب ما تحققت سببته، سواء في ذلك ما عرف
قبل، وما وجد في هذه الآونة.

ونحن بما أننا أمة إسلامية، والإسلام دين غذاؤه العلم، يجب علينا أن نكون أخضع
الناس لما جرت به سنة الله في خلقه، ولما علمناه من قدرة في هذا الكون، وأن نكون أيضا

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
من أشد الناس عملا بما فهمناه من سنن الله، لأننا مع كوننا في اتباعنا سنن الله تأتي
البيوت من أبوابها، وتأخذ الشيء من جهته، نكون قد خضعنا لقدر الله الذي ما خلق
هذه الأسباب وسببيتها إلا لتطلب المسببات من ناحيتها، ومن طلبها من ناحيتها التي
خلقها الله لتطلب منها ممثلا، منقادا لحكمة الله، فذلك من أعظم الطاعات إذا قارنتها
النيات..))¹.

والمحلل لقول الشيخ يتبين منه المسائل التالية وهي :

1 - إيمانه بسنن التغيير عامة، فحيثما توفرت المقدمات، والأسباب الحقيقية للتغيير
نحو الأصلاح حصل بالفعل التغيير، وحيثما انعدمت المسببات والمقدمات المفضية للتغيير
بقي الوضع راكدا، وحصل الجمود على مستوى الأفراد، والأسر، والجماعات، والمؤسسات،
والهيئات...

2 - واجبات النخبة المثقفة من المرشدين والعلماء.. هو معرفة قوانين التغيير
الحضاري عموما، وكل يركز الشيخ دائما بمنطق الباحث الاجتماعي على هوية مجتمعه
العربي وعلى انتمائه المشرقي، وعلى دينه الإسلامي، وعلى لغته العربية، وعلى تبعيته المطلقة
للشرق العربي الإسلامي، وهو بهذا المنطق يتعامل بأدبيات الباحث الاجتماعي الإسلامي،
الذي يعد المجتمع لا بالتجمع البشري الفطري، والغريزي والمصلحي للأفراد فقط، بل
بالتجمع القيمي الروحاني واللغوي أيضا.

1 العربي التبسي. إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع. مجلة الشهاب. الجزء 5. المجلد 7. جمادى أولى/1352هـ.
ماي/1932م. ص 17.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
كما تكشف لنا هذه النبت الفكرية على فهم الشيخ العميق لتعريف المجتمع بالمفهوم
الإسلامي، المغاير لمفاهيم الدراسات الاجتماعية الوضعية التي تسقط في تعريفاتها عامل
الدين، وقد ركز الشيخ في نصه هذا على الأسباب الحقيقية لتخلف المجتمع الجزائري، وهي:
1 - التنبيه إلى قيمة الأصرة الجمعية للمجتمع، وفوائد الأخذ بها، وسلبات
الإعراض عنها.

2 - أهمية الاعتبار بحوادث التاريخ المكرورة على الأمم.

3 - التنبيه إلى أهمية تأسيس الهيآت الاجتماعية الجمعية من: أحزاب، وهيآت،
ومنظمات، وجمعيات.. وفائدتها في بقاء واستمرار المجتمع.

4 - حث النخبة المستنيرة في المجتمع الجزائري للتوجه إلى توحيد جهودهم الجمعية
لتوفير الحد الأدنى للإقلاع الحضاري المناسب بهذه الأمة الشرقية التي ران عليها ليل
الاستعمار الطويل.

وجماع القول في هذا القاعدة إبراز تركيزه على الأخذ بالمنهج العلمي في دراسة
مشاكل المجتمع الجزائري، والتعمق العلمي والموضوعي في دراسة أسباب ودوافع تخلفه،
والانطلاق العملي لمحاكمة مظاهر التخلف الواقعية، وعدم الاكتفاء بنقدها وكشفها، والتنديد
بفاعليها، بل الانتقال العملي التطبيقي من معالجتها الفكرية النظرية المجردة إلى التفاعل معها
إيجابيا وواقعا لتغييرها من واقع المجتمع.

4 - العمل الجماعي:

آمن الشيخ بقيمة ونجاعة العمل الجماعي في العملية الدعوية الإرشادية، ونبه إليها
فكتب لجمهور المصلحين عامة، ومرشدي جمعية العلماء خاصة: ((.. وقد وجد فيما جد
من دعائم المدنية أن كل مبدأ لا تخدمه الهيئات ولا تستشعره الجماعات، هو مبدأ صائر إلى

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
حيث صارت الشعوب البائدة، وأن توحيد قوى العاملين باسم واحد ولغاية واحدة في هذه
العصور من الضروريات لنجاح الأفكار، وحياة المشاريع.

وأن الفرد، وعلم الفرد، وتفكير الفرد، وجهود الفرد، هذه كلها - آلت في نظر هذا
العصر - كبقية من بقايا العصور الماضية، التي انتقلت من وظيفة العمل بها إلى وظيفة
الاعتبار بها، وهي داخلة في أخبار الأولين كآلتهم وماعونهم... حيث انقطعت صلة الأمم
بالاتكال على الفرد وجهوده، وحلت الجماعات محل الأفراد، وأصبح عمل الفرد في شؤون
الجماعة في هذا العصر غير مرضي عنه، وبات التعاون في كل شيء رمزا عاما في العالم،
وعلى قدر تشبع الأمة بعقلية التعاون في كل شيء وبالأعمال الاجتماعية تعلق الأمة، ويمتد
رواق سعادتها.. ((¹.

والمحلل لما كتب الشيخ عن قيمة العمل الجمعي عامة وقيمه في العمل الإرشادي
الدعوي خاصة يلحظ تنبيه الشيخ لرجال الإصلاح على الاهتمام بالمسائل التالية:

- 1 - دور الجماعات في خدمة المبادئ والمخططات الكبرى.
- 2 - فشل أعظم المبادئ قيمة في غياب التضامن الجمعي، وانتصار أبسط
المبادئ في ظل التضامن والعمل الجمعي.
- 3 - تصرف عصر الفرد وتراجعها في خدمة المبادئ العظيمة، وبروز عصر الجماعات
والهيئات.
- 5 - مراعاة العمق الحضاري للمجتمع الجزائري:

1 العربي التبسي. إعداد الوسائل للعناية بالمجتمع. مجلة الشهاب. الجزء 5. المجلد 7. جمادى أولى/1352هـ.
ماي/1932م. ص 17.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
ومما كتبه في عمق مكونات هذه الأمة وركز عليه نظريا وعمليا خصائصها ومقوماتها
الثقافية، والاجتماعية والأخلاقية والدينية، من ذلك ما كتب عن الأمة الجزائرية: ((.. الأمة
الجزائرية أمة شرقية في دينها ولغتها وعاداتها وأخلاقها ومشاعرها وموقعها، وإن كانت
فرنسوية في سياستها وعلاقاتها.

فمن المنطق إذن أن تجري مع الشرق حذو القذة بالقذة، وتصبغ بصبغته، وتندفع
باندفاعه، وتمد يدها إلى ما مد إليه يده. فتفريطنا - معشر الجزائريين - من بينهم فيما
اقتضته سنة التطور، وأوجبه قواعد البقاء في هذه الدار مما دلت التجارب الصحيحة على
أنه بمنزلة الرأس من الجسد في حفظ مكانة الأمة، وإظهارها في مظهر يضعها في حظيرة
الشرق، قتل لأنفسنا بأيدينا، وجريمة لم يرخص فيها شرع، ولا أذن فيها عقل، ولم يبق في
الأسود والأحمر من لا يؤمن إيمانه بوجوده بأن العصر عصر تحاك، وأخذ ورد ومد وحزر..
1. ((

والمحلل لما كتب الشيخ يتبين تأكيده على المقومات الحضارية العربية الإسلامية
العميقة للأمة الجزائرية التي عدد منها الخصائص التالية :
1 - التأكيد على مشرقية الأمة الجزائرية في: دينها، ولغتها، وعاداتها، وتقاليدها،
وانتمائها الحيوي، وتاريخها، وأخلاقها، ومشاعرها.

1 العربي التبسي. أذفت ساعة الجماعة وتصرم عصر الفرد. جريدة الشهاب. السنة 2. عدد 31. الجمعة
17/جوان/1926م الموافق 06/ذي القعدة/1344هـ. ص 33.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي

2 - تجنب الدخول في صراع غير منهجي، وخاسر مع الاستعمار بالاعتراف
بهيمنته على سياسة الأمة الجزائرية، وهذا من صميم التجربة الدعوية الحمديدية في طورها
المكي.¹

3 - تبعية الأمة الجزائرية الحتمية والمطلقة للمشرق العربي.

4 - أخطار التنكر للانتماء الحضاري العربي الإسلامي على الأمة الجزائرية.

5 - التأكيد على واقع التأثير، والتأثر الحضاري المعاصر اليوم في إطار معادلة
الحفاظ على الأصالة، والتطلع إلى المعاصرة.

والمتمعن في تأكيد الشيخ هنا على هوية الأمة الجزائرية إنما هو تعريف علمي ودقيق
وواضح للأمة الجزائرية، التي هي تجمع بشري تلقائي توفرت فيه عناصر المجتمع الرشيد من:
دين، ولغة، وعادات وتقاليد، وموقع جغرافي، وتاريخ عريق، ومشاعر جمعية ينتظم فيها
الشعور الجمعي للأمة الجزائرية الواحدة، وأخلاق عامة تضبط سلوك المجتمع، وتحفظ ذوقه
ونظامه العام، وهذا هو تعريف المجتمع من المنظور العلمي الاجتماعي الإسلامي.²

كما يبين لنا فهم الشيخ لآليات الصراع الاستعماري ومناهج الإصلاح الاجتماعي
الحديث الفوقي، والتحتي³، وأخطار التنكر للامتداد الطبيعي العربي الإسلامي للأمة
الجزائرية.

6 - قيمة الإصلاح الذاتي:

1 انظر مثلاً: صفني الرحمن المباركفوري. الرحيق المختوم. دار الشهاب. باتنة. الجزائر. دون طبعة. دون تاريخ. ص
87.. محمد أحمد جاد المولى. محمد المثل الكامل. المكتبة الأموية. دمشق. الطبعة الأولى. 1972م. ص 160..
وسعيد حوى. الرسول. ص 20.. وغيره..

2 انظر مثلاً: محمد طهاري مفهوم الإصلاح بين الأفغاني ومحمد عبدة. ص 30.. وغيره كثير.

3 انظر محمد التومي. المجتمع الإنساني في القرآن. ص 131..

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
لم يكتف الشيخ بالتنبيه لقيمة دروس الوعظ والإرشاد الجماعية بل نبه أيضا إلى
أهمية اصطلاح المصلحين وغيرهم من عامة الناس بإصلاح ذواتهم وأسرتهم ومن هم تحت
ذمتهم ورقابتهم.. فذلك هو مبدأ وأساس ومنطلق وأول الإصلاح الشامل والقاعدي
الناجح، حيث كتب منبها لخطر هذا الأسلوب وأهميته: ((.. وأمرنا أيضا بحمل من في
رعايتنا من أزواج وبنين وبنات وإخوة وأخوات وبقية أفراد العشيرة على العمل بالفرائض
العينية، وعلى الآداب الإسلامية الخاصة والإنسانية العامة، وبغرس الأخلاق المرضية فيهم،
وتلقينهم ما يجب إليهم الفضائل ويجعلها بكثرة التمرن عليها ملكات متوغلة في نفوسهم
متمكنة فيهم، تصدر عنها آثارها منهم بسهولة، حتى تتحول هذه الفضائل فيهم إلى ما
يشبه العادات والمألوفات التي يأتيها الإنسان بداعية الوظائف العضوية.

فليتولى كل واحد منا - معشر الجزائريين - إصلاح من في رعايته وتحت مسؤوليته،
حتى إذا عمّت هذه التربية من في منازلنا، ومن تحت تأثيرنا وطواعية كلماتنا، أمكن يومئذ
وجود أمة متحدة العقائد، متشابهة الأخلاق والآداب، متقاربة المظاهر العامة، النفسية منها
كالتأثر بالمؤثرات المرة والحلوة والسارة والضارة، والخارجية كاللغة واللباس والعادات والمساوىء
والمحاسن.

أمة ترجع في كل شأن من شؤونها إلى دينها تسأل عن ذلك أهل الذكر
والاختصاص، غير مستسلمة في ذلك للعادات والمألوفات وما عليه الأمهات والجدات،
تتقرب إلى ربها بما يرتضيه ويطلبه من عبادته، ويمثل هذا يتحقق فينا معنى أمة، ومعنى
مقومات الأمم..))¹

1 العربي التبسي. مواعظ ليالي رمضان واجب ديني على علماء المسلمين (4). جريدة البصائر. سل 2. السنة
6. عدد 231. الجمعة 18/رمضان/1372هـ الموافق 29/ماي/1953م. ص 1.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
والحلل لما كتب الشيخ عن أهمية الأسلوب الذاتي الفردي في عملية الإصلاح يتبين
التالي:

1 - أهمية اضطلاع المصلح خاصة، والمسلم عامة بإعداد، وتربية وسطه الأسري
التربية الإسلامية الصحيحة باعتباره المحضن الأول، والأساس لعملية الإصلاح، والركن
الرئيس في نجاحها، أو فشلها.

2 - التنبيه إلى قيمة اتحاد الأمة على قيم ومبادئ، ولغة جامعة.. لأن الإصلاح في
حد ذاته هو تجميع إرادات الأمة في إرادة واحدة متضامنة.

3 - دور الدين وقيمه كقاسم مشترك بين الأمة، وكموحد ومنظم لها.

4 - دور دروس الوعظ والإرشاد الديني في تجميع الأمة على قاسم مشترك واحد،
يجمعها، ويحميها من الاحتكام إلى نوازع الهوى والغواية والنفس والشيطان والعادات والتقاليد
البائدة.

5 - دور الإرشاد الديني الصحيح في تحقيق معنى الأمة الصحيحة والمتماسكة
والمتحدة والقوية.

7 - دور التضحية في نجاح الإصلاح الديني:

ولتحقيق كل ذلك النجاح، والنجاح فيه ليس هو بالأمر السهل، بل إنه يحتاج إلى
ركام معنوي هائل من الإيمان والتقوى والتضحية والإخلاص والعمل المتفاني والاجاد، لاسيما
في أمة متخلفة كالأمة الجزائرية. ولأهمية هذا الأمر المهم نبه الشيخ كاتباً لرجال الإصلاح في
الجمعية وفي غيرها: ((.. إن الأمة الجزائرية كغيرها من الأمم الإسلامية أسباب التأخر فيها
لا ترجع إلى عهد قريب، ولا إلى سبب مباشر غير مخالفة الدين الذي بناه رب العزة على

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
أحكم نظام، وأمتن أساس، وهياً حوله من الرغبة والرغبة ما لا عهد له لشعب ولا لملك،
بل ولا لأهل ملة.

فأعظم الأجر الأخروي لمن أحسن عمله، وبالغ في النكايه بمن استخف بشيء من
تعاليمه الغالية، وأوصى كل نفس عن هاته الأمة - التي مثلها بجسم واحد إذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر البدن - بأن تكون حارسة على الوحدة الإسلامية، ولا تنام عن
الذب عن الجامعة، وأنزل كتابا بينه رسوله صلى الله عليه وسلم علما وعملا ليكون النظام
الذي تفرع إليه الأمة في كل شأن من شؤونها الدينية أم الدنيوية، والملجأ الحصين الذي تفرع
إليه في وقعة مدلهمة.

وتغلغت تعاليمه وآدابه في نفوس الأمة فأصبحوا يحرسونه، ولا ينبذون ما فيه ثقة
بأنه الكفيل بسعادتهم، والمعصوم من الخطأ، ولا يصددهم مناوئته ممن عاداهم. والسعيد منهم
من مسه الأذى في الحق، وسابق إلى الهلاك في رفع كرامة الأمة، فأنزل الله سكينته عليهم،
وألقى عليهم المهابة ما تنشق عنه مرائر الأعمار جزاء لهم على الاستماتة في الحق، وحراسة
الأمة...)).¹

والدارس لما كتب الشيخ هنا يلحظ تأكيده على المسائل التالية:

1 - التنبيه إلى أسباب تخلف الأمم عامة، الذي سببه فقدان الاحتكام إلى القيم
والمبادئ والمثل العليا.

1 العربي التبسي. هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فأنقوهها. جريدة النجاح. السنة السابعة. عدد 238.
الجمعة 13/10/1925م الموافق 26/ربيع الأول/1344هـ. ح 1. ص 1.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي

2 - التنبيه إلى سبب تخلف الأمة الجزائرية العربية المسلمة خاصة، وذلك لابتعادها عن الاحتكام إلى دينها الإسلامي، واستبدالها طاعة ربها ودينها، بطاعة هواها والشيطان الاستعماري..

3 - تنبيه الشيخ لقواني سقوط الأمم، وتراجع المدنيات، وانحيار الحضارات.

4 - قيمة التضحية والتفاني في إحياء الأمم.

5 - واجب التضحية المقدس المفروض على رجال الوعظ والإرشاد الديني، وعظمة مآله الأخرى.

8 - دور العلماء في عملية الإصلاح :

وعن دور العلماء في عملية التبليغ الدعوي وإيصال الإرشاد الديني إلى عامة الناس أشار الشيخ إلى هذه المسألة منبها على أهمية دورهم الريادي في عملية الإصلاح، مشددا على المتقاعسين منهم في أداء مهمة التبليغ، حيث كتب: ((.. على العلماء من أكد ما يجب عليهم تبليغه، ولا يعد العالم في نظر الدين وفيما للعلم حتى يعمل بما يأمر به العلم عملا أو تبليغا، ومادام العالم في الإسلام وارثا للنبي عليه الصلاة والسلام فعليه أن يتبعه عملا وتبليغا. أما إذا أهمل العلماء وظيفتهم العلمية والتبليغية، وتركوا الذب على الدين، وأهملوا باب حراسته مفتحا يلجه كل معتد، ويشب عليه المبتزون. فإن الدين وعلومه ولغته تصبح ألعوبة بيد عبيد الشهوات، ومماليك الأهواء، يسيرون به أين سارت شهواتهم، ويفسرونها تبعا لمنافعهم.

وأظن أن علماء الأمة يدركون أن أعظم الشرور التي حلت بالعالم الإسلامي، إنما كان سببها الجامع للعلل، هو تحريف الأوضاع الدينية، وقلب حقائقه العلمية، وإفساد لغته، وآدابه.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيسوي
فمادام العلماء محافظين على الحقائق الدينية، وعلى أسمائها وألقابها، رادين تحريف
المحرفين وتحويل المبطلين، فالدين باق على أصله، ومصالح الخلق ثابتة، والمفاسد مدفوعة،
ولغة الدين حية موجودة، يبلغها السلف للخلف.

وإذا ضيع العلماء ما وكل إليهم، وأهملوا وظيفتهم، ونامت أعينهم عن كيد
الكائدين، وعبث العابثين، وجهالات الجاهلين، آلت حقائق الدين، ولغة الدين، وآداب
الدين، لعبة بيد المرائين، وحلت بالدين ولغة الدين الطامة الكبرى، وأزفت الساعة التي
تنتظرها الأيدي الأثيمة المعادية للإسلام، لتقضي حاجتها من الدين، عياذا بالله من التفريط
في الحق..))¹.

والحمل لقوله يجده قد تشدد مع العلماء في مسألة التبليغ والإرشاد الديني، حتى عد
المتقاعس منهم عن الاضطلاع بدوره الإرشادي ليس من رجال الإصلاح أصلاً، مبدياً
رأيه بدقة في المسألة عبر النقاط التالية :

- 1 - النتائج الخطيرة المترتبة عن تخلي الدعاة الحقيقيين عن مهمتهم التبليغية، وترك
الباب مفتوحاً أمام أذعياء الإرشاد الديني من السماسرة والمرتزقين والمبتزين..
- 2 - ضمان استمرار حياة الدين، وحقائقه الربانية المطلقة، وحياة لغته، وكتابه
الكريم، وبقائه مسيطراً على توجيه حياة البشرية.. مرهون باضطلاع العلماء والمصلحين..
بدورهم الإرشادي في تبليغه الناس صحيحاً، وفي الحفاظ عليه.
- 3 - الأخطار التي أهدقت بالدين وأهله في الجزائر جاءت كنتيجة منطقية لتخلي
الدعاة والمصلحين عن الاضطلاع بدورهم الإرشادي.

1 العربي التبسي. ما هو الإخلاص ؟ ومن هو المخلص ؟. مجلة الشهاب. الجزء الرابع. المجلد التاسع.
15/ذوالقعدة/ 1351هـ الموافق 12/مارس/1933م. ص 171..179.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي

9 - التأسّي بتضحيات السلف الصالح:

ولتهوين أمر التضحية والتفاني والإخلاص على رجال الإصلاح الديني في الجزائر قدم لهم الشيخ نماذج عملية تطبيقية من تضحيات واستماتة السلف الصالح في سبيل إنجاح الدعوة الإسلامية، هذه الدعوة التي وصلت إلى ما وصلت إليه في أقل من قرن من الزمان، إنما تأتت لهم بفضل تضحياتهم في سبيل ربه، حيث كتب متأسيا: ((.. فبسط لهم ما أمدوا به ظل نفوذهم، ونشر سلطانهم في أقل من قرن واحد ما بين جبال الجرنيت الفاصلة بين فرنسا وإسبانيا وجدران الصين، وهم في عصر لا يعرف الفكر البشري فيه من النهوض ما دب إليه الآن، ولا أتوا بأعجوبة من أعاجيب الاختراعات الحديثة، ولا حدثهم أنفسهم أن في بطون الأرض ما يبئد الشعوب، ولا أن للكيمياء مفعولا يبدل الأرض غير الأرض، بل رزقوا تلك المنن، وأعطوا هاتيك المواهب لأنه سرى حب الإسلام في قلوبهم، وأشربوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سفير من عند الله، أمين على وحيه، لا ينطق بخطل، ولا يحدث عن هوى، وإنما هو وحي يوحى إليه من لدن حكيم عليم، فكان أمرهم أن هان عليهم كل عزيز، وعظيم فداء للمحافظة على الإسلام وسلامته.

فلما انتقل الأمر إلى خلفهم ضلوا السبيل، واستحبوا العمى على الهدى، وأضاعوا ما خلص من أيديهم من تراث أسلافهم، وانحلت عزائمهم، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون عاقبة ما سيحقيق بهم، ولم يرفعوا بما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسا، ولا تأسوا بمن أوصاهم بالتأسّي به، فحصدوا الخسران المبين ونزل بهم البلاء المقيم: (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب) (..¹)¹.

1 سورة البقرة. آية 211.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
وفي الوقت الذي تأسى الشيخ فيه بماضي السلف وتضحياتهم الجسام في سبيل
الإسلام حمل بشدة على الخلف الضعفاء حملة شعواء لتقاعسهم عن التضحية والتفاني في
خدمة هذا الدين ولو باضطلاعهم بالإرشاد الديني، مذكرا إياهم بذل الدارين الذي
يعيشونه في واقعهم الاستدلالي الاستعماري المهين من جهة، وبما ينتظرهم من نكير وعقاب
المولى تبارك وتعالى لهم بعد الموت من جهة ثانية.

10 - تطوير أساليب إنجاح الإصلاح الديني:

ولإنجاح العمل الإصلاحي في الجزائر اقترح الشيخ سبل تطوير الإرشاد الديني
لتهوين المهمة على رجال الإصلاح، عارضا عليهم تفاني وتجارب أهل الأديان الأخرى
المنقطعين في الجبال والأودية والأدغال مع أبسط القبائل المتخلفة يدعونهم لدينهم، حيث
كتب منبها إلى خطر التبشير، وإلى ضرورة فهم رجال الإصلاح الديني في الجزائر لمهمتهم
الدعوية النبيلة، مثيرا فيهم نخوتهم الدينية المتداعية، وحماستهم الإسلامية للذب عن دينهم
الصحيح أمام زحف الأديان الأخرى الممتلئة بالترهات والأباطيل: ((.. أيتها الاخوة: كلكم
يعلم أن دعاة الأديان الأخرى من غير المسلمين يقومون دعوة إلى دينهم بالرحلات لأقصى
الجهات وأبعد الأمم عنهم لغة ودينا لعلهم، يدخلون في دينهم من لم يكن يسمع بهم،
وهم في سبيل الدعوة إلى دينهم يؤسسون الكليات العلمية، ويشيدون المستشفيات
الضخمة، وينون الملاجىء والمطاعم، وينفقون على ذلك مآت الملايين، ويركبون
الصعاب، ويقتحمون المهالك.

1 العربي التبسي. هذه جزائرهم تحتضر أيها الجزائريون فأنتقوها. جريدة النجاح. السنة السابعة. عدد 240.
الجمعة 1925/10/20 الموافق 03/ربيع الثاني/1344هـ. ح.2. ص 1.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
كل ذلك دعوة إلى دينهم، وأملا منهم أن يكسبوا ربحا جديدا هو دخول بعض
الأفراد إلى دينهم، أفلا يكون قيام علماء المسلمين في أمتهم الإسلامية ووطنهم الجزائري
بالإرشاد إلى دينهم مما يوحيه التشريع السماوي، ويعترف به التشريع البشري أيضا، إذا
كانت العدالة موجودة..))¹.

وقد أشار الشيخ إلى عوامل نجاح التبشير المسيحي الشمولي، ذلك التبشير القوي
المدعوم بالمال والرجال والمؤسسات الجمعية، وتضحيات رجاله المتفانين في دخول بعض من
الناس إلى دينهم، حاثا العلماء والدعاة المخلصين للاضطلاع بواجب الإرشاد دون مقابل
لأن سلعة الله غالية، فكتب: ((.. أيها الاخوة: إن من ينكر علينا إرشاد أمتنا وتعليم أبنائنا
وإخواننا لغتهم ودينهم وعوائدهم الإسلامية، فقد أراد بهذا المنع في نفس الأمر ومنطق
القول أن نترك ديننا يضيع وأمتنا جاهلة وأخلاقنا فاسدة، وتحويلنا من تاريخنا القديم إلى
شيء آخر يضمه هو، ويفصح عنه إنكاره علينا ومنعه لنا، وإننا لا يمكننا أن نترك ديننا
وعلمه مادام الإسلام يجري في عروقنا، والله يشهد أن من يعترض على علماء الإسلام
قيامهم بوظيفة الوعظ والإرشاد في هذا الوطن هو الظالم ظلما لا تعرفه الإنسانية قبل اليوم.
أيها الاخوة: تقدموا لأداء وظيفكم الديني، فأنتم أصحاب الحق وأنتم ورثة نبيكم
وخلفاء أئمتكم. وتحملوا في ذلك الأذى كما تحمل نبيكم، وكل ذي مبدء في الحياة
وعقيدة في الدين والمبادي، وإن ما يصيبكم من وصب وأذى فلن يضيع عند من لا يضيع
أجر المحسنين المخلصين والله معكم..))².

1 العربي التبسي. تقرير في كيفية الدعوة والإرشاد. سجل مؤتمر جمعية العلماء الخامس. 1935م. ص 42...

2 العربي التبسي. تقرير في كيفية الدعوة والإرشاد. سجل مؤتمر جمعية العلماء الخامس. 1935م. ص 43، 44.

الفكر العقدي عند الشيخ العربي التبسي ودوره في صناعة التغيير الحضاري... _____ أحمد عيساوي
والمتمعن في قول الشيخ يجده يحذر رجال الإصلاح من عراقيل الاستعمار العديدة،
التي تدفع الشعب الجزائري بوسائلها القهرية للتخلي عن الرمق الأخير من حصون الممانعة
الحضارية والدينية والثقافية الكامنة فيه، حاثا إياهم للتقدم إلى ميدان الدعوة كتقدمهم إلى
ميدان الجهاد الأكبر.

4 - الخلاصة:

أنه ثمة تشابه كبير بين أوضاعنا المزرية اليوم في ظل الأنظمة الطاغية، وأوضاع
سابقينا في ظل الاستعمار، ولا فرق بين مستبد ظالم، ومستعمر غاشم، فالداء واحد،
والدواء أيضا واحد مع فارق بسيط في قراءة الواقع وفهمه وتكتيل الشرفاء ليهبوا بواجب
النصرة، ودفن الجور.